والمعلم شيء

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الشنيار

العبيكان
Obeikan

والمعلم شيء

والمعلم شيء

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الشياح

العبيكان
Obeikan

ⓒ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثنيان؛ عبدالعزيز بن عبدالرحمن

والمعلم شيء./ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثنيان؛ ط١ -الرياض، ١٤٤٣هـ

١٨٤ ص؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٩-٤٣٩-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨

١- التدريس (مهنة) أ. العنوان

ديوي ٣٧٠ ١٤٤٣/٧١٦٣

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

نشر وتوزيع العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية-الرياض

طريق الملك فهد-مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+، فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦+

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

جميع الحقوق محفوظة. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدِّمة ٩

جهود الدولة ٢٣

القصةُ المَنْسية ٣٣

تجربتي ٤٧

المعلم الربَّاني يوسف! ٥٠

الطالب والزهايمر ٥٩

تجربة قادة! ٦٥

شهادة خبيرين ٧٢

الاختبارات الدولية ٧٩

الرِّقَّةُ والحزم ٨٦

قواعد قرآنية ٩١

القاعدة الأولى: الشعور بسمو المهنة ٩٢

القاعدة الثانية: التحلّي بالربّانية ٩٧

القاعدة الثالثة: الرحمة ١٠١

القاعدة الرابعة: لُغة التعليم ١٠٦

القاعدة الخامسة: علَّم بالقلم ١١٢

القاعدة السادسة: وُضوح المعلومة وبيانها ١٢١
القاعدة السابعة: استحضار الخصوم ١٢٣
القاعدة الثامنة: العمل الصالح ١٢٦
مواقف مع المعلمين ١٣٢
يا ملازم! ١٣٢
طبيب يتذكر! ١٣٦
مع المعلّم مدحت الإندونيسي ١٤١
اللغة وهوية الأمة ١٤٨
القلم والورقة (وجامعة هوبكنز ومدارس والدورف) ١٦٨
الخاتمة ١٧٧
قائمة المصادر المراجع ١٨٠

المقدِّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

يقول خبير: «احرصْ أن تكون مُسَامرتك مع ذوي المُشاكلة؛ فمعهم تحلو المنادمة، وبهم تطيب المجالسة». وأحسب أن المُشاكلة مجموعة غرائز: فهي غريزةٌ عُمرية تجذب الصغير للصغير، والفتى للفتيان، والكبير للكبار. وهي غريزة مجانسة؛ فالرجل للرجل أقرب، والمرأة مع المرأة ألصق. وهي غريزة فكرية؛ فكلما كانت الثقافة متقاربة كان التقارب والتفاهم أمتع.

ومن أصدقائي زملاء مُشاكلةٍ عمرية وفكرية، مُتنوِّعو التخصصات العلمية، أغلبهم أساتذة جامعات، صُحْبَتي معهم منذ عقود، ومن برنامج لقاءاتنا

المتكررة كُلّ أسبوعين درسٌ دوريٌّ يختاره الدارس، ثم يفاجئنا بموضوعه وقت الجلسة، فنسمع بتركيز، ثم نعلّق عليه، وبعد ذلك يَرُدُّ الدارسُ على ما سمعه من ملحوظات وآراء ويعلّقُ عليها. وللجلسة رئيسٌ من بيننا يُدير الحوار، ويضبط الوقت. ومدّة النقاش العلمي ساعة تقريبًا، ثم نختم الجلسة بتحديد الموعد القادم، وتسمية الدارس القادم. تجربةٌ ثقافيةٌ مُمتعةٌ أنصح بها غيري.

في إحدى جلساتنا تلك، كُنتُ الدارسَ، وجئتُ مُتأبطًا مُسوَّدة كتابٍ جديدٍ أنوي نشره، هو هذا الكتاب الذي بين أيديكم.

عرضت على أُولئك الأصدقاء مادة الكتاب، وكان العنوان الذي اخترته للكتاب سابقًا هو (القرآن ورفع كفاءة المعلم)، وبعد العرض عليهم وسماعهم مادته العلمية علّقوا عليه، وأبدوا آراءهم فيه؛ إذ قال أحدهم: ركّزت على المعلم، أليست وزارة التعليم يوم كُنتَ من مسؤوليها هي المسؤولة عن إعداد المعلمين؟

قُلتُ: بلى، ولكن الحديث عن رفع أداء المعلم وإثارة حماسه.

وقال الثاني: وهل ميزات المعلمين ورواتبهم في المملكة تماثل تلك التي في الدول التي ذكرت تَطَوّرَ تعليمها؟ قلت: نعم، المملكة تماثل وتزيد على كثير من الدول. وقال الثالث: هل يُمكن يا ترى أن تكون مدارسنا جاذبة للطلاب لا مُنفّرة؟ قلت: نعم، بمراجعة برامجنا، ودفع المعلمين للحماسة والتفاعل تزداد الجاذبية. وقال الرابع: ونسألك، كُنت من مسؤولي وزارة التعليم، فهل جئت اليوم تنتقد وتُنظّر؟ قلتُ: ولكن التعليم ليس ماءً راكدًا؛ هو نهرٌ جارٍ يتجدّد ويتطور. وأشاد الخامس بأن الكتاب تضمّن معلوماتٍ واسعةً ورؤيةً مستقبلية. وقال السادس: هل تتذكرُ مدرسين أعجبوك وتعُدُّهُم قُدوات؟ قُلت: نعم، في الكتاب نماذج وإشارات لأولئك. وقالوا، وقالوا، واقترح ثلاثةٌ منهم تغييرَ عنوان الكتاب، فأحدهم الأستاذ الدكتور محمد الصامل، أُستاذ الأدب والبلاغة، اقترح أن يكون اسمه (هدايات القرآن

للمعلم)، وبعد تلك الجلسة أعدت التفكير في الاسم، فاسم الكتاب جاذب أو طارد، معبرٌ عن موضوعه أو بعيدٌ عن مادته؛ ولهذا يحتار كثير من المؤلفين في التسمية.

كنت في هذا الكتاب الذي أعَدتُ تسميته، قد هممتُ أن أُسميهُ بما اقترحه أخي الدكتور الصامل، إلَّا أن في الكتاب فصولًا مادتها أبعد عن هذا. ثم بدا لي أن أُسمّيه (دافعية المعلمين)، أو (رفع كفاءة المعلمين). وبعد التأمل، عدلتُ عن هذين الاسمين؛ إذ خَلَوَا من الإشارة إلى القرآن الكريم، والكتاب مُحوره ومُنطلقاته القرآن الكريم، ولهذا استقر الرأي أخيرًا أن يكون اسم الكتاب (**والمعلّمُ شيءٌ**)، اقتباسًا من قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. فالمعلم والتعليم شيءٌ، والقرآن فيه تفصيل كلِّ شيء؛ ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

إن شأن التعليم عظيم، عظّمه الله -سبحانه- وأعلى شأنه؛ إذ بدأ ذلك مع خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿وَعَلَّمَ

ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١]. وبتعليم الله تفوّق آدم على الملائكة المخلوقين قبله، فحين سألهم الله جل جلاله: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾، اعترفوا بجهلهم: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣].

هذا وقد تحيّر رجالُ التعليم في أسلوب تجويده، وتطوير مخرجاته، فأي الطرق يسلكون؟

تنوَّعَت آراؤهُم وتعارضت توجهاتُهم، وتطاول ناقدون فسفّهوا وانتقصوا وحسبوا أن التطوير يسيرٌ، والتجديد بسيطٌ، وقالوا وتمادوا، وما توصلوا إلى نتيجة، واختلفت الأصوات حول كفاءة المخرجات، وتاه صناعُ القرار البشري، وما لم يتم التشخيص فالداء يستشري.

إن التعليم يُعاني ضعف مخرجاته، وتزداد الخلافات والآراء حول الأسباب والعلاج.

واستحضرتُ حيرة المسؤولين اليوم حول الإجراءات التي يتخذونها لتطوير التعليم، والرفع من كفاءته، وكأني بالكثير من ذوي الرأي والقول يربطون التطوير بالمناهج، ويلومون ويُعاتبون، وصارت تلك الآراء استجابة لهذا الصوت، فغيروا في المواد؛ دمجوا بعضها في بعض، وحذفوا واختصروا، وكلفوا مؤلفين جددًا، وأزالوا موضوعات، وأضافوا أخرى، لكن تلك الإجراءات لم تُحقق الأهداف والطموح المراد تحقيقه؛ فالشكوى مستمرة، والقصور باقٍ، والنقد يتزايد!

إن للتعليم عند كل الأمم عناصر ثلاثة؛ العنصر الأول: الطالب ومعه أُسرته؛ أي المجتمع بأكمله ومُؤثراته. والعنصر الثاني: المناهج وتوابعها؛ المباني، والمعامل، وجميع التجهيزات المدرسية. والعنصر الثالث: المعلمون؛ أي فريق المدرسة؛ المعلم، والمدير، والوكيل، والمرشد، ورائد النشاط، وغيرهم، وهؤلاء يتقاطعون مع الطلاب، فهم جزء من المجتمع، ثم وزارة التعليم والجامعات وإدارات التعليم بمسؤوليها ذوي القناعات المتعددة.

وليس يسيرًا ولا مُمكنًا أن نستوردَ تعليمًا ناجحًا في إحدى الدول ونطبِّقه في مجتمعنا، فلئن جُلِبَت المناهج وتوابعها أو بعض منها؛ أي العنصر الثاني، فكيف بتفاعل العنصرين الآخرين؛ الطالب والمعلم؛ إذ لا يُمكن استيرادهما؟

إن التعليم شيءٌ كامل مُترابطة أجزاؤه، فكيف إذن يكون التطوير؟

وأحسبني من حاملي الهم التعليمي والشأن التربوي؛ أمضيتُ عمري في خدمتِهِ، وشرُفتُ بمسؤوليته، دَرَّسْتُ وعَمِلتُ به موظفًا صغيرًا، وتدرّجت في المسؤوليات حتى كُنت مسؤولًا، وقرأتُ تجاربَ الأمم، وسافرت وشاهدت مدارسهم وبرامجهم عن قرب، فأمضيت أيامًا في المدراس اليابانية، وأسابيعَ في السنغافورية، ومثلها في بريطانيا وفي إسبانيا وفنلندا.

وبعد تقاعدي من العمل الحكومي بقيَ الفكرُ التعليمي وتربيةُ الأجيال في فؤادي؛ أتحسَّسُ تطويرَهُ، وألتَمِسُ تجويدَهُ.

وحين فتح الله عليَّ وجلستُ مع القرآن أتدبر وأتفكر، كان التعليم حاضرًا في ذهني، شاغلًا همّي، ولهذا ما إن قرأتُ الآيتين الكَرِيمتين:

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

حتى توقَّفتُ عندهما، وردّدتُهما، واستحضرت الشأن التعليمي. إن كل حرف في كتاب الله له دلالته حسب سياقه، وفي موضعه؛ ففي الآية الأولى جاء قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾، وفي الآية الثانية ورد: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، والتعليم شيء، فهل يا ترى أجد في القرآن مفتاحًا لتطوير عناصر التعليم الثلاثة في وطننا الغالي؛ المنهج، والطالب، والمعلم؟ والله -سبحانه- يقول: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾، والتفصيل بيان وإيضاح، ويقول سبحانه: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، والبيان نورٌ وضياءٌ،

وتتكرر كلمة ﴿وَهُدًى﴾ في الآيتين، والهداية إنارةٌ وإرشادٌ ووصولٌ إلى الهدف المراد، ويتكرر لطف الله -سبحانه- في الآيتين، فيقول: ﴿وَرَحْمَةً﴾، والرحمة رفقٌ وإنقاذٌ!

وفي الآية الثانية يؤكد -سبحانه- أن هذا القرآن ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، وبشارة الله -سبحانه- أصدقُ وأوثقُ البشارات!

لقد أيقنتُ أن في القرآن المنهج المطلوب، والكنز المنشود، والطريق الأمثل لتطوير التعليم بعامة، والمعلم بخاصة، وهو-فيما أرى- الأهم في التطوير.

مما قاله الشيخ ابن سعدي عند تفسيره الآية: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: «لما كان هذا القرآن تبيانًا لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون، فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٤٧.

ومما قاله الشيخ الشعراوي: «﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ..﴾ أي بيانًا تامًّا لكل ما يحتاجه الإنسان، وكلمة (شيء) تُسمّى جنس الأجناس؛ أي: كل ما يُسمّى «شيء» فبيانُه في كتاب الله تعالى»[1].

ومضيت أستحضر التعليم في تدبري وتفكري وأنا أقرأ القرآن؛ لعلي أجدُ في القرآن هدايات حول الشأن التعليمي ورفع كفاءته.

إن القرآن خطابٌ ربَّاني للبشر، ونصوص سماوية لبني آدم، بلَّغَها رسول الله ﷺ خير المربين، وقُدوة المعلمين. هو الكتاب الكامل ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وبالقرآن كانت الحضارة الإسلامية وسادت رِدحًا من الزمن.

إن التعليم فكر، والفكر روحٌ وحياة، وليس جمادًا ومادة، وفرق في التعامل بين وزير التعليم الذي يكون

(١) تفسير الشعراوي، ٨١٤٨/١٣.

تعامله مع العقل، وبضاعته الزاد العقلي، ووزراء يتعاملون مع الجسم؛ وزير الصحة، والزراعة والتجارة، والبلديات، وآخرون بضاعتهم الزاد الجسمي.

إن التعليم بكل فروعه وتخصصاته غذاء للعقول، وما أصعبه من زاد، ولهذا يكون التحدي والإبداع في بناء العقول، وهي أشق الأبنية وأصعبها.

إن أسهل عناصر التطوير المناهج وتوابعها، وهو ما قامت وجَدَّتْ فيه وزارةُ التعليم في المملكة العربية السعودية، لكن الأهم من ذلك المعلم، فهو فارس التطوير. تتَبّعتُ ما يتعلق بالمعلمين في القرآن؛ طُهاة الزاد العقلي، فالمعلم طبيب العقول، المهارة بيده، والتطوير عنده، هو الذي يخلو بالعقول ويحصّنها من معاول الجهل، هو الذي ينقل العلم والمعرفة، فكيف نطور المعلم، وكيف نرفع من كفاءته؟

لقد استحضرت هذا الهاجس التطويري للمعلمين في القرآن، فوجدت عددًا من الآيات تضمّنت إشاراتٍ

وتوجيهاتٍ للمعلمين لتجويد أدائهم، واستوقفتني في كتاب اللّه وقفاتٌ قرآنية، وهداياتٌ ربانيةٌ للمعلمين تدفعُهُم للمزيد من العطاء.

ويقيني أن في القرآن آياتٍ كثيرة، وحين نتدبَّرُها نستخرج منها توجيهاتٍ وتوجيهاتٍ لتجويد التعليم بكل عناصره.

إن أهم العناصر في عملية تطوير التعليم هو المعلم ورفع كفاءته، وتنشيط دافعيته.

لقد قرأت كثيرًا من الكتب التربوية، واستمعتُ لعددٍ من آراء الخبراء والمختصين ومقترحاتهم المتنوعة، وما نفّذوه من برامج تعليمية وتدريبية لرفع كفاءة المعلم، ولكن النتائج دون الأمل.

إن هناك ما هو أهمّ من الإعداد العلمي للمعلم، وما هو قبل التدريب والتطوير المعرفي والميداني، هناك الدافعية الذاتية للمعلم؛ فهو يتعامل مع الفكر، فكيف تتحرك همتُهُ ويستشعر المسؤولية؟

لقد استوقفتني بعض الآيات الكريمة؛ إذ وجدتُ في هداياتها مضامين تربوية، ودلالات كثيرة تتعلقُ بالتعليم وتطويره، وتناوَلَتْ تلك الآيات الكريمة أهمّ أركان التعليم الذي هو المعلِّم.

لقد استنبطتُ من تلك الآيات قواعد تربوية، يغلب على ظنِّي أنه لو التزم بها المعلمون، واستحضروها في دروسهم اليومية مع طلابهم، لصار التطور المنشود.

ولو صارت تلك القواعد منهجًا من مناهج التطوير فيترجَّح لدي أنها ستحقق الآمال بارتفاع كفاءات المخرجات التعليمية.

هذا، وقد استعنتُ بعددٍ من كُتب علماء التفسير حول تلك الآيات الكريمة، فوجدت بعض الإشارات التربوية، وانتهيت إلى تدوين تلك القواعد في هذا الكتاب.

وأملي الأكبر أن تتحول تلك الهدايات التربوية إلى مشاريع وبرامج وورش عمل. والمهم في الأمر: أعطني مُعلّمًا ولو تحت ظلِّ شجرة.

وقد تناولت في بداية الكتاب جهود الدولة وإنفاقها السخي على التعليم، كما عرضتُ لتجارب بعض الدول واهتمامها بالمعلمين وتركيزها عليهم.

والله الموفق.

المؤلف

د.عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثِّنيَّان

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

1@ikcedu.net

جهود الدولة

التعليم همُّ الوطن، والكل يتحدث عن تطويره، ولذا نقرأ ونسمع النقد المُستمر حول مُخرجات التعليم، والآراء والمقترحات المطالبة بتحسينها، ولا غرو؛ فكلُّ بيتٍ مرتبطٌ بالتعليم.

وقصة التعليم في المملكة بدأت مُنذ تأسيس الدولة السعودية الأولى، فالمملكة دولة العلم والتعليم، كان تأسيسها وتوحيدها بالعلم والسيف، بالقوة الناعمة والقوة الصلبة، وكان عطاؤها وبذلها على التعليم منذ بداية التكوين.

ذكر الدكتور عبد الله العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو المتخصص في تاريخ الدولة السعودية، أن العلم والتعليم في الدولة

السعودية الأولى كان واضحًا في سيرة قادتها الذين حرصوا كل الحرص على حضور مجالس العلم، وتتلمذوا على المشايخ العِظام، فتكونت لديهم مَلَكات علمية، وصار من أولئك القادة منْ كانوا لا يقتصرون على المناقشات العلمية، وإنما يفسّرون ما يقرؤه القارئ عليهم، ويوردون أقوال العلماء المختلفة (كانوا معلمين). وقد بلغ من حرص قادة الدولة السعودية الأولى على التعليم أنهم كانوا يصطحبون معهم في الغزوات علماء يعقدون مجالس علمية ينتفع بها أفراد الجيش الغازي، وقد أخذ الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا المبدأ، فكان العلماء يصحبونه في حروبه وفي حلِّه وسفره، وبجهود أولئك القادة، وإخلاص علماء البلاد، ازدهرت الحياة العلمية ازدهارًا عظيمًا، ووُجِدَتْ في الدرعية بالذات مكتبات قيِّمَة ضَمَّتْ كُتُبًا كثيرة في موضوعاتٍ علميةٍ مختلفة.

وتتابع ملوك الدولة السعودية يرعون العلم والتعليم، فمن أوائل المراسيم الملكية للملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ المرسوم الصادر بشأن دعم مدرسة الفلاح في جدّة.

ذكر ذلك إبراهيم الحسّون في كتابه (خواطر وذكريات)؛ حيث كان من طلاب المدرسة عام ١٣٤٦هـ؛ إذ يقول: «صدر مرسومٌ ملكي قضى بفرض رسم إضافي قدرُهُ قرشٌ واحدٌ يُستوفى على كل طردٍ من طرود البضائع التي ترد إلى التجار عن طريق الجمرك، وأصبح يعرف هذا الرسم باسم (قرش مدرسة الفلاح)»[١].

وبعد أن اكتمل توحيد الوطن، وأعلن الملك عبد العزيز طَيَّبَ اللهُ ثراه اكتمال الوحدة الوطنية تحت اسم «المملكة العربية السعودية»، صار التركيز على تنمية الدولة وبناء مؤسساتها، وكان للتعليم النصيب الأكبر من الاهتمام، فتوالى افتتاح المدارس. وقصة دار التوحيد في الطائف تُجَسِّدُ موقف الدولة الجديدة من التعليم. يقول الشيخ عبد العزيز المسند: «في جلسةٍ من جلساته المبسطة، التي يُدير فيها دفة الحكم، ويحضرها بعض مستشاريه، وذوو الرأي من مقربيه، تنهد الملك عبد العزيز ثم قال: إنني مهتمٌّ بالتعليم، وقلقٌ لعدم وجود متعلمين بشهادات

(١) خواطر وذكريات، ١/١٦٨.

معترف بها يسدون حاجاتنا من العلماء والموظفين، وأشار إلى الجالسين مستفسرًا عن أفضل الوسائل لتحقيق هذا الهدف النبيل، فعُرِضَت في تلك الجلسة آراءٌ ونُوقِشَتْ ثم استقر رأيهم على اختيار العالم الدمشقي السلفي الشيخ محمد بهجة البيطار ليُدير مدرسة تُفتح وتُنظم، وعلى اختيار (الطائف) ليكون مقرًا للمدرسة لهدوئه وطيب هوائه. فافتُتحت «دار التوحيد» في الطائف، والتقى الطلاب في الطائف من كل صوب في شهر جمادى الأولى عام ١٣٦٤هـ».

وقال عاصم البيطار: «كانت المدرسة مثار انتباه جلالة الملك وعنايته، وقد ربطها بالقصر مباشرةً، وأصدر أمره لصاحب السمو الملكي الأمير منصور بن عبد العزيز وزير الدفاع رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يُلبي مطالب المدرسة كلها، وكان مركزه في الطائف، فإذا حضر النائب العام لجلالة الملك سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز أصبح هو المرجع، وقد أمر جلالة الملك بتزويد الشيخ بشفرةٍ سريةٍ خاصة ليتصل به مباشرة حين حصول أي تقصير».

وقال الشيخ محمد بن جبير، رئيس مجلس الشورى، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جئتُ إلى الطائف من قريةٍ نجدية تقع في وسط المملكة هي المجمعة. وصلتُ إلى الطائف بغير رغبةٍ مني، والإشارة إلى الرغبة هنا أمر يستحق الاهتمام؛ إذ إن عددًا غير قليل من طلاب دار التوحيد جاؤوا بالقوة، نعم؛ لأن أولياء أمورهم لا يريدونهم أن «يتغربوا» خارج قُراهم. وقد أرسل الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ اثنين من طلبة العلم من أجل اختبار هؤلاء الطلاب من المجمعة وشقراء وبريدة وعنيزة، واصطحابهم إلى الطائف باللين والإقناع أولًا للطلاب ولأولياء أمورهم، وبالقوة إذ لم يكن منها بُد».

ويقول ابن جبير كذلك: «ولو سُئلتُ اليوم عن الرجل الذي يعود له الفضل بعد الله في رعاية هذه الدار لقُلتُ دون تردد إنه جلالة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعة، فقد كان يرعى الدار ويرعى طلاب الدار، لدرجة أنه يتابع شخصيًا سيرهم الدراسي ويستقبلهم عندما يكون في الطائف، ويقوم بنصحهم

وتوجيههم، ويأمر بنقل طلاب الدار إلى بلدانهم في مناطق المملكة المختلفة على سيارات حكومية وذلك في الإجازات الصيفية، ثم يأمر أيضًا بالعودة بالطلاب إلى الطائف عند بداية كل عام دراسي، وبعد أن توفرت الطائرات كانت الطائرات تنقل طلاب دار التوحيد إلى الرياض بأمره، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهناك يتم استضافتهم في مقر قيادة الحكومة، ومن الرياض يتم نقلهم إلى بلدانهم. كان الطلاب يخاطبون ملكهم عبد العزيز، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والذي كان بمثابة ولي أمر لكل طالبٍ يتولاه ويرعاه ويساعد في حل مشاكلهم. نعم، الملك يحل مشاكل طلاب دار التوحيد والتي تعادل اليوم المرحلة المتوسطة أو الثانوية».

هذه بداية التعليم؛ إلزامٌ وإجبار، ونفقةٌ وإكرام، وارتباط نموذج من نماذج التعليم بالملك مباشرةً بشفرةٍ سرية تأكيدًا لقمة الرعاية والاهتمام.

وحين كُنْتُ في العمل الرسمي بالدولة، قابلتُ مع كبار مسؤولي وزارة التعليم ولاةَ الأمر لوطننا المعطاء،

وشعرتُ بحُرقتِهم وحرصهم على تطوير التعليم، وبلغ من اهتمامهم أن خصصوا المليارات لتطوير التعليم، فعلى سبيل المثال رصدَت المملكةُ في عهد الملك عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبلغًا ماليًّا كبيرًا بلغ ثمانية مليارات ريال للإنفاق على برنامج أسموه: (**مشروع الملك عبد الله لتطوير التعليم**)، وابتعثت الدولةُ ألوفَ الطلاب، وما تزال تبتعث الأعداد الكثيرة للجامعات العالمية؛ رغبةً في تطوير التعليم.

وتضمَّنتْ رؤية المملكة ٢٠٣٠ الطموحة عددًا من البرامج التطويرية، ومن أهمها برنامج تنمية القدرات البشرية، وتُركز أغلب أهداف هذا البرنامج على التعليم وتطويره. ولأهمية هذا البرنامج تولّى رئاسة اللجنة صاحب السمو الملكي ولي العهد حفظه الله.

ومع إنفاق المملكة الجزيل على التعليم، واهتمامها به، فإن المخرجات دون الطموح، ففي الاختبارات الدولية لعام ٢٠١٨م، جاءت المملكة في المرتبة الخامسة والستين من بين ثمانٍ وسبعين دولة.

إن الكثيرين ما يزالون يتبارون في اللوم والنقد لنواتج التعليم، وكثيرًا ما يكون العتبُ على المناهج، ويغفل القالُونَ عن الأهم؛ عن بُناة المُستقبل، عن المعلمين، فقد تراجَعَ قِطارُ تطويرهم.

في العشرين سنة الماضية كان التركيز على المناهج أكثر؛ إذ أعادوا كتابتها وغيروا مؤلفيها، فضلًا عن الحذف والدمج، ومع ذلك فالشكوى مستمرة!

ولو عدنا للتاريخ نستنطقه، ونقرأ كيف كان التطوير في الماضي لتَنبَّهنا لأمور مُهمة يجب المسارعة والعودة إليها؛ إذ كان التطوير قديمًا كُليًّا شاملًا للمعلم أولًا، ثم المناهج ثانيًا، ويلي ذلك التجهيزات المدرسية والمباني.

إن المعلم هو حصان الرهان، وقصة تطويره المنسية يحسن التذكير بها.

أما المناهج فتطويرها مستمرٌّ لم يتوقف. عملتُ في إدارة المناهج سنوات؛ انضممتُ لتلك الدائرة

في وزارة المعارف عام ١٣٩٥هـ، وفي ذلك الوقت كان اتفاق الوزارة مع الجامعة الأمريكية في بيروت لتطوير العلوم والرياضيات أواخر عهد الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتسارع التطوير، ففي عهد الملك خالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ جرى الاتفاق مع شركة ماكملان لتطوير كتب اللغة الإنجليزية، ومع شركة دينو جبرت الأمريكية لتوفير الوسائل والمجسّمات والخرائط التعليمية للمدارس، واتفقت الوزارة مع جامعتي الملك فهد والملك سعود ليشارك عددٌ من أساتذة الجامعتين في الرياضيات والعلوم واللغة العربية مع رجالِ الوزارةِ، ويقودوا تطوير كُتب هذه المواد من خلال نظام (الأسر الوطنية)؛ لكل فرع من الفروع العلمية والبرامج المساندة أُسرة؛ فأُسرة الرياضيات، وأُسرة العلوم، وهكذا بقيةُ المواد، وأسرة الإرشاد الطلابي، وأُسرة النشاط المدرسي، وغيرها. ذاك النظام المرن الذي تبنّته الوزارة زمان الوزير الخويطر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أعطى الوزارة الصلاحية للاستعانة بالكفاءات العلمية في أي جهة كانت تعمل، ومنحها المكافآت الجزيلة.

وبقيتُ في إدارة المناهج ست سنوات، نعملُ بحماسة وجدّيَّة مع العلماء في كل الفروع، كان الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ والشيخ الفوزان يُجيزان كتب المواد الدينية، والدكتور عبد الله العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقودُ لجنةَ كتب التاريخ، وهكذا.

عملتُ هناك إلى أن انتقلت مديرًا عامًّا لتعليم الرياض عام ١٤٠٢هـ، واستمر التطوير وإعداد الشباب لقيادة التطوير التربوي في الوزارة؛ إذْ جرى ابتعاث نُخبٍ متميزة لأرقى الجامعات الغربية للتخصص في كثير من البرامج التربوية التي تحتاج إليها الوزارة، وازداد اهتمام وزارة التعليم بالمناهج، وسرَّعَتْ من عجلة تطويرها. وسوف أعرض في هذا الكتاب محطّات تاريخية حول المعلم والرفع من كفاءته، وسأشير إلى إجراءاتٍ اتخذتها وزارةُ المعارف سابقًا لزيادة تأهيله العلمي والتربوي، كما سأشير إلى تجارب دُول ركَّزت على رفع كفاءة المعلمين، وأعرض بعض الرؤى التطويرية للمعلم وأساليبه، وسيكون فيه استطرادات معرفية تزيد الموضوع بسطًا وإيضاحًا.

القصةُ المَنْسية

أستعيد الماضي وأستذكر أُستاذي المعلم سلطان يوم كنت طفلًا في مدرسة الأعشى الابتدائية بالمرحلة الأولية ١٣٧٦- ١٣٧٨هـ، كان إعداد المعلم سلطان في معهد المعلمين الابتدائي؛ أي ثلاث سنوات بعد المرحلة الابتدائية، كأنه خريج المرحلة المتوسطة اليوم!

وقبْلَهُ كان هناك معلّمُ الضرورة، وذاك أنه بعد أن استقر الحكم للملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ اهتم بالتعليم، وأمر بفتح المدارس وتعليم المواطنين، ووجّه بإنشاء الهِجَر لتوطين وتعليم أبناء البادية، لكن أين المعلمون؟

لقد وظّفت الدولة معلّم الضرورة؛ فمن كان يحفظ القرآن الكريم، أو يُجيد القراءة والكتابة صار معلمًا،

ولنقرأ قصة معلم الضرورة، كما يرويها مُعلم الضرورة ردحًا من الزمن، الدكتور عبد العزيز النعيم، في كتابه (**حكايتي بعد التسعين**).

يقول النعيم: «تعيّنتُ معلمًا في المدرسة السعودية بعنيزة ولم أحصل على الشهادة الابتدائية، وعمري ما بين ١٩ و٢٠ سنة، ولا مؤهل علمي لدي سوى معرفتي بالقراءة والكتابة، وشهادة النجاح من خامس ابتدائي بالمدرسة العزيزية في عنيزة، وكُنت أُهنِّئُ طلبتي الذين أُدرّسهم ويجتازون اختبار الصف السادس، بينما أنا معلمهم لم أكن حاصلًا على تلك الشهادة، وبعد سنتين، قرّرتُ أن أتقدم لاختبار الصف السادس مع طلبتي الذين أدرسهم؛ حتى أحصل مثلهم على الشهادة!»[1]. سبق أن توقف الأستاذ عن إكمال المرحلة الابتدائية في المدرسة العزيزية بعنيزة؛ لعدم توفر عشرة طلاب، فتعذر فتح صف سادس وتفرق الطلاب.

(١) حياتي بعد التسعين، ص ١١٦.

هل سمعتم أو قرأتم قبل هذه الشهادة التاريخية، المعلم عبد العزيز النعيم وطلابه يجلسون معًا على مقاعد الامتحان، يُختبرون لنيل الشهادة الابتدائية. أحسَبهُ يحكي عمّا قبل عام ١٣٧٠هـ.

لقد كان للشهادة الابتدائية وللاختبارات ذاك الوقت هيبة وإجلال، ولشهادة الصف السادس الابتدائي مكانةٌ ووجاهة. لقد امتد ذاك المشوار سنوات؛ حيث عِشتُ (أنا عبد العزيز الثنيان) التجربة، كأني أرى ذاك اليوم الذي وزَّعَتْ فيه مدرستنا -أعني مدرسة الأعشى الابتدائية بمنفوحة- أرقامَ الجلوس عام ١٣٨١هـ/١٩٦١م، أذكر شكلها ولونها؛ كانت أوراقًا خضراء مستطيلة، وحينها عرفنا أن الاختبار سيكون مركزيًّا في غير مدرستنا؛ أي في المدرسة المحمدية بالرياض، وتقع في طريق سلام على مقربة من مقرّ المحكمة الكبرى الحالي بمدينة الرياض، وكان لا بد من رحلةٍ لاستكشاف مقرّ الاختبارات. وحين وصلت إلى المدرسة المحمّدية تجوّلت في أرجائها أبحث عن

اسمي في أي صالة سـأكون، ووجدت عددًا من طلاب المدارس الأخرى ينشدون أماكنهم، فالاختبارات بعد إجازة الحج مباشرة.

وكانـت الاختبـارات فـي المقـرر الدراسـي كلـه، فالعام الدراسي واحد، ولم يُقْسَّم إلى فصلين أو ثلاثة كما هو الحال الآن، وتحدثت مع بعض الطلاب والنّفس مزهـوّة، فقـد شـعرنا بالرجولـة والاهتمـام.

فهذه الاستعدادات التي تقدِّمها الوزارة، وإن كان التربويون يرون فيها ترهيبًا وتخويفًا للطلاب، كان فيها جانب إيجابي هو إشعارُنا بالمسؤولية، وإعلامُنا بدورنا في الحياة، وأنه لا بد من الحزم والجد، ولهذا حين التقيتُ في المركز بأقراني كان الزهو والاعتداد بالنفس قد ملأ جوانحهم، ونقلهم من عالم الصغار والفتوة إلى عالم الكبار والرجولة.

ونعود لشهادة الدكتور عبد العزيز النعيم حول مُعلّم الضرورة؛ يقول: «بعد أن عقدتُ العزم على

الاختبار مع طلابي، تراجعت في ذلك العام». كان زملاؤه المدرسون جميعهم بلا شهادات (مُدرسو الضرورة). يقول النعيم: «كانوا يحاولون إقناعي بعدم جدوى خوض امتحان الصف السادس، وكانوا يدعمون وجهة نظرهم تلك بأن وزير المالية (عبد اللّه الحمدان) لم تكن لديه شهادة، حتى إن أحدهم قال: إن ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز لا توجد عنده شهادة، فلماذا تسعى أنت وراءها؟ في الحقيقة استطاع زملائي إقناعي بعدم التقدم لاختبار الصف السادس، وكان تأثيرًا سلبيًّا».

ويسترسل النعيم في قوله: «هذا ما يناله المرءُ عندما يُحيطُ نفسَه بمن لا يدفعونه نحو الأمام، ويريدونه أن يبقى على شاكلتهم، لكن الفكرة لم تَنْمَحِ نهائيًّا من ذهني، يبدو أنه كان إقناعًا مؤقّتًا. ففي السنة التالية أخبرت مدير المدرسة، الأستاذ عبد الرحمن بن صالح العليان، بأنني أريد التقدم لاختبار الشهادة الابتدائية، وأقنعت زملائي محمد الراشد البرية، ومحمد الجمل،

على التقدم للاختبار، ولكنهم انسحبوا بعد تعبئتهم الاستمارات، أما أنا فتقدمت للاختبار ونجحت، وحصلت بذلك على الشهادة الابتدائية، وتخلّصت من كوني معلم الطلبة في الصف السادس غير الحاصل على شهادة الصف السادس! كان الطلبة يعلمون ذلك، لكن علاقتي بهم كانت فعلًا رائعة، وكانوا يرغبون في حضور الحصص التي أقدّمها. أتذكر أنني وقبل تقديمي للاختبار قال لي حمد العبدلي، وكان أحد طلبتي: «افترض يا أستاذ أنك رسبت في الاختبار!»، كنت أقول: «إن شاء الله لن أرسب». في الحقيقة ما كنت لأكون في وضع لائق أمام تلاميذي في الصف السادس لو أنني لم أنجح في ذلك الاختبار، كان ذلك الهاجس ينتابني أحيانًا، كانت تلك الشهادة هي شهادة الابتدائية التي حصلت عليها، بل كانت أول شهادة في طريق العلم الطويل، عندما عملتُ كمعلم لم أستلم راتبي لمدة ١٨ شهرًا. لست أنا وحدي، بل كل زملائي في المدرسة أيضًا، كنت آخذ مصروفي من والدي. لم يتخلف أي معلم عن إعطاء الدروس، مع استمرار تأخر الرواتب

لمدة عام ونصف. كنت وزملائي المعلمون نشعر بالمسؤولية تجاه الطلبة، ونثق أيضًا بأن الحكومة ستدفع لنا رواتبنا، وهذا ما حدث، تم دفع رواتب ١٨ شهرًا دفعة واحدة، وكانت جنيهات ذهبية، كان ذلك المبلغ بالنسبة لنا نحن الشباب ثروة محترمة»[١].

هكذا عرض الدكتور النعيم شهادته عن معلّم الضرورة، وقد استمر يُعلّم في مدرسة العزيزية بعنيزة خمس سنوات، ثم واصل تعليمه ونال الشهادات تباعًا من المملكة ومصر، حتى أخذ درجة الدكتوراه من مصر بتقدير جيد جدًّا عن رسالته الموسومة بـ(نظام الضرائب في الإسلام) عام ١٩٧٤م، وصار أستاذًا بالجامعة. هِمَّةُ معلمي الزمان الأول؛ من معلّم ضرورة إلى دكتور وأستاذ بجامعة الملك سعود.

ويُحدثني مُعلمٌ آخر من قُدامى المعلمين، هو معالي الأخ محمد الدريبي، فيقول إنه بقي واثنان من

(١) حياتي بعد التسعين، ص١٥٨.

زملائه في الصف الخامس الابتدائي ثلاث سنوات، إلى أن انضمت إليهم مجموعة أخرى من مدرسة ابتدائية أخرى في الرياض، فصاروا عشرة طلاب، وعند ذلك فتحت مدرستهم الصف السادس، وأكملوا المرحلة الابتدائية.

وبعد أن تخرجوا عام ١٣٦٨هـ في المرحلة الابتدائية عُيّنوا مدرسين في الرياض براتب قدرُه مئتان وسبعة ريالات، وبقي الأخ الدريبي يدرّس ثلاث سنوات إلى أن افتُتح المعهد العلمي بالرياض، فترك التدريس وانضمّ إلى الدراسة في المعهد. كان من ضمن الدفعة الأولى من خريجي كلية اللغة العربية عام ١٣٧٧هـ.

ويذكر معالي الأخ الدريبي أن الدولة في ذلك الوقت كانت تجدُ صعوبة في صرف الرواتب، فبقوا سبعة أشهر لم تُصرف لهم رواتبهم؛ ما دفع به وبزُملائه المعلمين إلى أن يتوجّهوا إلى الديوان الملكي، ويطلبوا مقابلة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليشتكوا عدم صرف الراتب، فعلم بوجودهم ولي العهد الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وسأل عن سبب حضورهم الجماعي، وتحدث معهم، وتعهد لهم بالصرف، ثم صرفت الدولة لهم رواتب أربعة أشهر دفعةً واحدة جنيهات ذهبية.

ويذكر الأخ الدريبي أنه ألَّفَ لطلابه ذلك الوقت كتيّب الرياضيات.

أين أُولئك الرجال من جيل اليوم؟! طلاب الصف السادس الابتدائي يقومون بالمهمة، يدرّسون ويُؤلّفون!

ومضت السنوات، وطورت الدولة برامج إعداد المعلمين عمومًا، وزادت من إعدادهم تربويًّا وعلميًّا، فرفعت معاهد المعلمين لتكون ثانوية. فحين أصبحتُ فتًى في المرحلة العُليا الابتدائية كان المعلم سعد، خريج معاهد المعلمين الثانوية، يُدرّسنا، وكنا نرى المعلم في ذاك الزمن أنه الرجل النموذج، والأستاذ القدوة.

ثم انتقلتُ للمرحلة المتوسطة، فكان المُؤهل الجامعي شرطًا للتدريس لما بعد المرحلة الابتدائية،

كان أساتذة تلك الأيام على حظٍّ من العلم والمهابة، فبقيت أسماء أولئك الرجال محفورة في الذهن، ملفوفة برداء العطر والاحترام، وذاكرة الخير، والدعاء لهم فردًا فردًا، كان لذاك الجيل من المعلمين مهابة واحترام؛ بحيث إذا رأى الطلابُ المعلم يمشي في الحي تواروا؛ خجلًا منه أن يراهم وهم يعبثون، وفور رؤيتهم له في المدرسة يُحيّونه ويُبَجِّلُونه. يستعدون لحصة معلمهم، ويذاكرون مادته قبل حضورهم للمدرسة.

كان أغلب الآباء يزورون المدارس ذاك الزمان ويقولون لمديرها: هذا الابن؛ لكم اللحم ولنا العظم؛ أي أدِّبوه ولو بالضرب، لكم الصلاحية المطلقة. ذاك المعلم هو الذي تعلم على يديه جيلي، وإن كان إعداده العلمي في المرحلة الابتدائية محدودًا، فإن أداءه جيدٌ؛ لكونه استحْضَرَ الأمانةَ، وافتخر بالمهنة، وبَجَّلَهُ المجتمعُ، وأعلى الوطنُ قدرَهُ ومقامه، فكانت مُخرجاته عظيمة. يكفي النظر في أسئلة امتحانات ذلك الوقت لتتضح قوة ونضارة منتجات ذاك الجيل.

حين كُنتُ في الصفوف الخلفية بوزارة المعارف قبل قرابة خمسين عامًا، رأيت قرارات الوزارة التطويرية للمعلم، فقد افتتحت مراكز للدراسات التكميلية للرفع من كفاءة قُدامى المعلمين العِلمِيَّةِ، وفرّغتهم لاستكمال دراستهم بتلك المعاهد، كما أسست مراكز العلوم والرياضيات في عدد من مدن المملكة، تقبل فيها خريجي الثانوية العامة، ومدة الدراسة فيها سنتان لتخريج معلمين متخصصين في هذين الفرعين للمرحلة الابتدائية، كما أسست معهدًا للتربية الرياضية، وآخرَ للتربية الفنية، ثم رفعت معاهد المعلمين الثانوية العامة إلى كليات متوسطة، وتوسعت في افتتاح تلك الكليات، وبلغت ثماني عشرة كلية. ثم في عام ١٤٠٧هـ رفعت الوزارة خطابًا للمقام السامي تطلب فيه صدور قرار من سلطة الدولة العليا ليكون الحد الأدنى لمهنة المعلم أن يكون جامعيًّا، وصدرت الموافقة السامية في تلك السنة، وترتّب على ذاك القرار أن رُفعت جميع الكليات المتوسطة، وحُوِّلت إلى كليات جامعية باسم كليات المعلمين، وضُمّت مراكز

الرياضيات والعلوم والمعاهد المتخصصة للكليات، وصارت مدة الدراسة أربع سنوات.

وأضحى الحد الأدنى العلمي للمعلم أن يكون جامعيًّا.

وغادرْتُ الوزارة بتقاعدي المُبكر في أول شهر محرم عام ١٤١٩هـ، ونحن ندرس في الوزارة كيفية رفع التأهيل العلمي للمعلم، ليكون إعداده في الجامعة علميًّا، وبعد الجامعة يدرس سنتين في مسار الدبلوم التربوي، ومن يجتازه يدخل الميدان التعليمي. لقد صدرت تلك القرارات والإجراءات التي رفعت من كفاءة المعلم العلمية في أوقات متقاربة. وقد عالجت الوزارة موضوع الرواتب والمغريات المادية لهذه المهنة النبيلة، واستطاعت إصدار **القانون الخاص** بالمعلمين الحالي الذي بدأ تطبيقه أول عام ١٤٠٢هـ، فميّز المعلمين، وأدخل بدل التدريس الذي كان يُصْرف لهم ليكون البدل ضمن الراتب الأساسي، وقضى القانون ألا يترفع المعلم لمستوى أعلى إلّا بمؤهل علمي جديد، فتسابق المعلمون يرفعون من تحصيلهم العلمي.

لقد تزامن التطوير العلمي والمادي لمهنة المعلم في تلك السنوات الوضاءة، ثم غفونا عن المعلم، وبدأ الإعلام يتسلل إلى التعليم، ويتسلى بالنقد والسخرية من مخرجاته ورجاله، وتراجعت صورةُ المعلم المُحترمة، وانتشر النقد المستمر للتعليم، وتجريح رجاله والتشكيك في مخرجاته، وجلد الذات صباح مساء، فكان أن اهتزت نفسية المعلم ومنْ ورائه مُديري المدارس، والوكلاء، والمشرفين التربويين، وغيرهم من رجال الميدان التعليمي، فتراجعت المخرجات، وضعفت المنتجات، وصِرنا في ذيل القائمة بالاختبارات الدولية، وازداد الصراخ والعويل، وانصب الغضب على المناهج وصانعيها، في حين أن الفارس المعلم هو مكمن التطوير.

هذا، ولعل النظام الجديد الذي صدر مؤخرًا أواخر عام ١٤٤٠هـ، وقضى باعتماد رُتب المعلمين، يُسهم في رفع الإنتاجية؛ إذ ورد في مادته الثالثة ما نصُّه: «تكون الرُّتَب وفقًا لسلّم الرواتب الملحق

باللائحة بالأسماء الآتية: ١. معلم خبير. ٢. معلم متقدّم. ٣. معلم ممارس. ٤. معلم/ مساعد معلم. ويُنقل المعلمون من رتبة إلى رُتبة وفق ضوابط تدفعهم للمزيد من العطاء والبذل».

هذا، ومما تميز به النظام الجديد العناية بقادة التعليم الميدانيين (مدير المدرسة، ووكيل المدرسة، والمشرف التربوي)، وذلك بمنحهم بدلًا ماليًّا جديدًا يُتيح للوزارة اختيار الكفاءات التربوية المتميزة؛ إذ نصّت المادة الثامنة والعشرون على الآتي:

يُصرف لقائد المدرسة مكافأة مقدارها ثمانمئة ريال شهريًّا، ويصرف لوكيل المدرسة مكافأة مقدارها خمسمئة ريال شهريًّا، ويصرف للمشرف التربوي مكافأة مقدارها خمسمئة ريال شهريًّا، وذلك خلال مدة التكليف.

لعل هذا العطاء وهذا التجديد يسهمان في رفع الإنتاجية.

تجربتي

أمضيتُ عمري في خدمة التعليم وما أزال! وأيقنتُ أن التعليمَ أكبر من أن يكون وظيفة للعيش والإعاشة، ولا هو بعملٍ دُنيوي ينتهي بأجرة شهرية وهلُمَّ جرًّا، وعرفْتُ بالتجربة أن مهنة التعليم ليست كغيرها من المهن؛ فجميع المهن تتعامل مع المادة، في حين يتعامل المعلم مع الفكر، وبناء العقول. التعليم رسالة وحياة، التعليم بناء أُمة ونهضة وطن!

بائع الجواهر يزدانُ متجرُه ببريق الذهب والألماس، وبائع العطور تفوحُ من داخل مركزه وما حوله روائح العطور وأصناف البخور، وتلك بضائع جامدة صامتة، أما المعلم فمع الحياة النابضة والعلماء القادمين، ومع

الأوقاف الخالدة، وشتّان ما بين العقل والجماد، ما بين الفكر والمادة.

حين كُنّا في الجامعة كان تطلُّعنا أن نتخرج ونمارس مهنة التعليم، كان للمهنة ذاك الوقت بريقها، ولها جاذبيتها، وذلك ما كان؛ فبعد النجاح كُنتُ أنا عبد العزيز الثنيان المعلّم، قد جربتُ هذا العمل النبيل الجليل، وذقتُ حلاوته في متوسطة ابن خلدون بمدينة الرياض عام ١٣٩٣/٩٢هـ، كُنتُ مُعَلِّمًا بذاك الحي الشعبي، الذي سكانه من فِئاتٍ شتّى، وقد وجدتُ بينهم وفيهم عالم الغد، وطبيب المستقبل، والمسؤول المنتظر، وذلك ما كانَ وما رأيته واقعًا.

لقد استشعرتُ، وأنا أُمارس مهنة التعليم، جسامة المسؤولية، وتذوقتُ لذّة العمل مع العقول الغضّة، خَبَرْتُ دَوْرَ المعلم وحقيقته، وأدركت أنه الأساس في نهضة التعليم، لكن رغبتي في مواصلة تعليمي العالي أبعدتني عن هذه المهنة النبيلة، فانتقلت إلى جهاز وزارة المعارف موظفًا في الصفوف الخلفية، إلى أن

حصلت على المُؤهل العلمي العالي، ومن ثمّ شاركتُ في مراكز القيادة التعليمية، وصناعة القرار، وشهدت قصة تطوير التعليم بأساليبه ومناهجه.

زرتُ المدارس، والتقيتُ الطلاب وناقشتهم، واجتمعت بالمعلمين وحاورتهم، وتناقشت مع قيادات العمل التعليمي مرات كثيرة، وقرأتُ واطّلعتُ على تجارب وتعليم الآخرين، وأمضيتُ أيامًا في مدارس يابانية، وسنغافورية، وبريطانية، وأخرى غيرها، وشاركتُ في مؤتمرات؛ فسمعتُ، وحاورت، وناقشت، وصارت خبرتي مزيجًا من القراءة، والعمل الميداني، والزيارات، والحوارات، ومعرفة ما لدى الآخر، واستقر لدي من هذه التجربة أن نهضة التعليم وتطويره مرتبطة بتوفيق الله، ثم بأداء المعلم، المعلّم، المعلّم.

أعطني مُعلّمًا ولو تحت ظلِّ شجرة تجد مُنْتَجًا.

المعلم الربَّاني يوسف!

أَلِفْتُ القراءة منذ فُتوتي، فقد ربّاني أساتذتي الكرام عبر رحلتي التعليمية على الجدّ وعشق القراءة، صحِبْتُ الكتابَ واقتنيته مُبكّرًا، وصارت هوايتي التلذّذ بالسياحة العقلية مع العلماء في كتبهم.

يُروى عن الخليفة المأمون العباسي أنه قال: «لا نُزهة ألذُّ من النظر في عقول الرجال».

وأتذكرُ أني سبق أن اشتريت كتابًا صغيرًا في حجمه كبيرًا في محتواه هو كتاب (كان أبي معلمًا)، وقرأتُ فيه قصةً مُؤثرة نبّهتني لسُمو مهنتي الجديدة التي بدأتها معلمًا في المرحلة المتوسطة، وبقيَتْ تلك الحكاية حاضرة في ذهني.

يقول المؤلف عبد التواب وهو يتحدث عن والده المعلم يوسف: «كنتُ أبتسم حين أرى تَعَلُّقَ أبي بمهنة التعليم وأُشفق عليه، وكُنت أحسبه يُسلّي نفسَهُ ويحاول أن يرضيها ما دام قد كُتبَ عليه أن يكون معلمًا.

ومضت به الأيام وهو يُعطي دائمًا من نفسه وروحه ودمه، لم يبخل قط على رسالته بأي جهد. وحدث ما توقعتُه؛ لقد سقط مريضًا، وقَدِمَ إلى القاهرة لأصطحبه إلى طبيبٍ كبير، هو أستاذ جامعي يُردد الناس اسمه في تقديرٍ واحترام بعد أن تجاوزت شهرته حدود بلادنا.

وجلسنا في غرفة الانتظار حتى يأتي دورنا بعد أن دفعنا أجر الكشف، وكان جنيهين، وهو مبلغٌ كبير بالنسبة لذلك الوقت، وبالنسبة لدخل أبي المحدود بوصفه معلمًا. وبعد وقتٍ طويل دلفنا إلى غرفة الطبيب الكبير، ورمقنا بنظرةٍ خاطفة، ثم تسمّرت عيناه على أبي بعض الوقت، وأقبل عليه فجأة يُحَيّيه في أدبٍ ولهفةٍ غامرة، وحسبتُ ذلك عادةً يتبعها مع كل زوّاره، وخصلة

حميدة استطاع أن يكتسبها بالمران، وقام بفحص أبي، واستغرق ذلك وقتًا طويلًا أدهشني.. وانتهى من الفحص ليجلس إلينا مُتحدثًا، وألقى على والدي عشرات الأسئلة، كان الكثير منها شخصيًّا، لا صلة له بالمرض، بل لقد سأل عن دراستي، وظننتُ أن ذلك كله مجرد رغبة في معرفة كل شيء، ومجرد استطراد في الحديث. ثم بدأ يُشير إلى ضرورة بقاء أبي في أحد المستشفيات بعض الوقت، واقترحَ بلباقة أن يكون ذلك في مُستشفاه الخاص. وأحسستُ بأبي يقبل متورطًا، فقد كنا نعرف جيدًا أنه لا قِبَل لنا بنفقات مُستشفاه، فضلًا عن الأجر الذي يتقاضاه. وأمسك الطبيب بورقةٍ وكتب فيها بضعة أسطر، وفكرة الاستغلال -مع الأسف- تطوف برأسي، وتدور في ذهن أبي.

وبعد أن انتهى الطبيب من الكتابة أدار لنا ظهره برهة وجيزة، لحظتها لم أهتم لها، ثم التفت إلى أبي وأعطاه الورقة بعد أن ثناها عدّة ثنيات، فباتت صغيرة الحجم.

وقال الطبيب: عليك أن تحضر هذه الأشياء والملابس، وتَحضر بنفسك إلى المستشفى صباح غد، وبالتذكرة عنواني.

ومضينا نحو الباب، وهو خلفنا يردد بعض الكلمات المحفوظة التي لم أحسّ لها في تلك اللحظة أي معنى، كان يقول:

أهلًا وسهلًا.. وألف سلامة لك.

شرفتم.. وحصلت البركة.

ويبدو أن أبي تحسّس ورقة الطبيب قبل أن نصل إلى الباب، ووجدها أضخم مما يتوقع، ففتحها، ثم التفت إلى الوراء، وأنا أتبعه، والطبيب خلفي يردد كلماته. وبسط أبي يده بالورقة، فإذا بها تضم ورقتين ماليتين، إنهما جنيهان، ولم أدرك الأمر لأول وهلة، ولكن صوت أبي ارتفع متسائلًا، والدهشة مرتسمة على وجهه: ما هذا يا دكتور؟

فابتسم الطبيب وقال في لهجةٍ حانية: هذا قيمة الكشف يا أستاذ يوسف.

سأله أبي: لماذا تردّه؟

وملأت الابتسامة الحلوة وجه الرجل، وامتدت يده تحتضن يد أبي التي تمسك بالورقة والنقود، وقال: سوف أكون شاكرًا بحق لو قبلتها، وأكون ممتنًّا لو أنك قبلت الجلوس معي هنا بعض الوقت لأشرح لك الأمر.

وعُدنا وجلسنا.

وتهدّج صوت الطبيب العالمي الكبير: لا أحسبك يا أستاذي تذكرني، أما أنا فلم أنسك يومًا، أنا واحدٌ من أبنائك، تلاميذك في بني سويف، أنا أعلم أن مواكب التلاميذ بالمئات، بل بالألوف، قد مروا بك، يأخذون من علمك، وليس من السهل أن تذكرهم، لقد كبروا، أما هم فإن صورتك لا يمكن أن تبارح ذهنهم، ولقد عشتُ أنا شخصيًّا كل هذه السنين أنتظر لقاءك، فأنت وراء كل خطوة ناجحة خطوتُها في حياتي.

وجلستُ أنا وأبي صامتَيْن، وصوت الطبيب يزداد تأثرًا وعمقًا: إني أحتفظ هنا في مكتبي بكراسة الإنشاء التي كتبتَ لي فيها بخط يدك الكريمة النبيلة عبارةً فرشت طريقَ عمري بالنور.

وامتدت يد الطبيب إلى أحد أدراج مكتبه، وأخرج كراسة قديمة في غلاف جلدي أنيق، وقلّب صفحات الكراسة وقدّمها إلى أبي الذي تطلّع إلى خطّه وكلماته في لهفة، كانت العبارة التي خَطّها بقلمه الأحمر تقول: «ليتك تصبح يا بُنَي طبيبًا إنسانًا كذلك الرجل الذي صوّرته في موضوعك، هذا أملي فيك، هل تحقّقه؟».

وتكلم أبي الذي طال صمته، فقال: الحمد لله، الحمد لله، كنتُ أظن أني أضعتُ حياتي هدرًا.

وتدافعت الكلمات على شفتَي الطبيب: أنت أضعت حياتك هدرًا؟! لقد صنعت حياة الآخرين، لقد استطعت أن تبني البشر، أنتم المعلمون الصُنّاع الحقيقيون في مصانع الثقافة التي تنتج الأطباء، والمهندسين،

والصحفيين، والمحامين، وكل الناجحين في الحياة، أنتم الأساس، أنتم خلقتُم أبطالًا، وزعماء، وقادة، تعيشون جنودًا مجهولين؛ لكن ثِقْ أن فضلكم في قلوب أبنائكم.

ودمعت عينا أبي وهو يتمتم: لقد عشتُ عمري كلَّه «معلّمًا» من أجل هذه اللحظة!

إن البعض يظن أن المرتب الذي يتقاضاه المعلم هو مكافأته عن عمله.. لا، إن مكافأته لحظة كهذه، يُتوّج فيها عملُه، يُتوّج فيها عمرُه.

وعاد والدي يبسط كفّه وفيه الورقة والجنيهان، وقال: هذا المبلغ ليس جنيهين، إنما هو أكبر من مليوني جنيه. إن النور الذي تسرب من عينيّ مع الطباشير والقلم الأحمر، قد عاد اليوم! إن عافيتي التي انسابت مع صوتي في حجرات الدرس قد رُدّت إليّ، وأنت يا عزيزي الطبيب الذي فعلت ذلك، لقد أحسستُ أنك وضعتني فوق قمّةٍ عالية، أعلى من قمّة المجد.

وقام أبي من مكانه وسُحبُ الدموع في عينيه تحجب الطريق إلى الباب، وذراع الطبيب العالمي الكبير تسانده، والصوت الصادق العميق يهتف: أنت شرّفتني بحق.

ولستُ في حاجة إلى أن أقول: إن الطبيب العالمي الكبير عالج أبي بلا مقابل، وفي عنايةٍ منقطعة النظير، وشُفي أبي، وعاد إلى حجرات الدراسة، يسفح عرقه، ويُريق ماء عينيه، ويفرش طريق المستقبل لأبنائه بالنور، وظلّ يحتفظ بالجنيهين اللذين ردّهما إليه الطبيب في علبة صغيرة أنيقة، ولم ينفقهما قط، وكان في كثير من الأحيان في أمسِّ الحاجة إليهما، ولكن يده لم تمتد إليهما أبدًا. وكان كلما أرهقته رسالته، وشعر بالتعب، وأحسّ بالإرهاق، يسارع إلى العلبة الصغيرة الأنيقة، يفتحها ويتطلع إلى داخلها في لهفةٍ وامتنان، وكثيرًا ما يتحسس الورقتين الماليتين، ويتنهد في ارتياح وهو يغلق العلبة، وابتسامة رضا عريضة تطوف بوجهه فيضيء. وقد أورثني أبي هذين

الجنيهين في العلبة الصغيرة الأنيقة، وأورثني رسالته ومهنته».

هذا الابن الذي يعرض قصة أبيه المعلم المؤثرة، هي قصة المعلم المُربي المَنْشود، هي حقيقة المعلم الربّاني المُسْتَشْعِر الكرام الكاتبين، هي حكاية المعلم الذي نرجو أن يكون عليه معلمو الوطن. أعطني مُعلمًا ونَمْ مُرتاحًا.

الطالب والزهايمر

اعتدتُ زيارةَ المدارس، والدخول في الفصول الدراسية ومحاورة الطلاب، فلكي تعرفَ المستوى التعليمي للمدرسة ومدرسيها؛ فالفصول الدراسية تكشفُ الواقع. ما زلتُ أتذكر زيارتي حين كنت مديرًا لتعليم الرياض مدرسة الجزائر الابتدائية بمدينة الرياض، وكيف بانَ لي الفرق بين فصلين؛ أحدهما تحققت لطلابه مهارة القراءة والكتابة فهم يكتبون ويقرؤون، والآخر طلابه ضِعاف لا مهارة لديهم تُذكر. وحين استأتُ من مستوى طلاب الفصل الآخر سألت مدير المدرسة، فقال: هو الأستاذ محمد؛ كفاءة، وتميُّزًا، نعرف طلابه وهم في نهاية المرحلة. وبعد أن أصبحت وكيلًا للوزارة، كُنت أزور المناطق والمدارس،

وتستحضرني زيارات كثيرة منها زيارتي لمدرسة ابتدائية في المدينة المنورة؛ إذ سرّني مستوى طلاب أحد مُعلّميها، وما زال اسم ذاك الأستاذ محفورًا بذاكرتي، وهو الأستاذ مهنّا عودة السريحي، طابَ مسعاه، وحفظه الله ورعاه.

وآخر ما استوقفني طالبٌ يافعٌ في إحدى مدارس ابن خلدون الأهلية الابتدائية، استدعيتُه للوقوف أمام زملائه ليشرح ما استوعبه من معلومات في مادة الرياضيات ليومٍ سابق، وحين وقف الطالب قال بجرأةٍ وتبسّم: الزهايمر يمنعني يا أستاذ. ضحكتُ، وسَرّتني ثقته بنفسه.

قلتُ له: ولكن الزهايمر لنا نحن الكبار.

وأسرع الفتى الصغير وقال: الزهايمر أصابني هذا اليوم مع الرياضيات؛ هذا اليوم فقط يا أستاذي، واستدرك الطالب اللوذعي وقال على الفور: ولكن مادة العلوم أتذكر موضوعها، وإن أذنت حدثتُكُم عما علق

بذهني من الموضوع الذي شرحه لنا الأستاذ بالأمس، وما استوعبه عقلي.

قلتُ: تفضّل! وأسرع الفتى للسبورة بثقة، وكتب وشرح باقتدار.

وسألتهُ عن القرآن الكريم وما يحفظ، وطلبتُ منه أن يقرأ من سورة الفجر، فقرأ على الفور، ثم شرع يشرح كلماتها. هذا الطالب وإن استعصى عليه موضوع الرياضيات وما فيه من جفاف، فقد أجاد مادة العلوم، أما القرآن الكريم فطراوتهُ وبركتهُ بَنَتا شخصيتَه، فلديه ثراءٌ لغوي، وزادٌ معرفي. هذا الفتى لم يتردّد، ولم يتلعثم، ولم يخجل والموقف يستدعي ذلك. كنتُ حاضرًا، ومدير المدرسة والوكيل، والمرشد الطلابي، ومعلم المادة. جمعٌ من الرجال يتكلم الفتى أمامهم، وزملاؤه يزيدون على عشرين طالبًا؛ أي أكثر من خمسين عينًا تنظر إليه. هذه هي التربية الحقّة! هذه صورتي وإياه، والمعلم ومدير المدرسة!

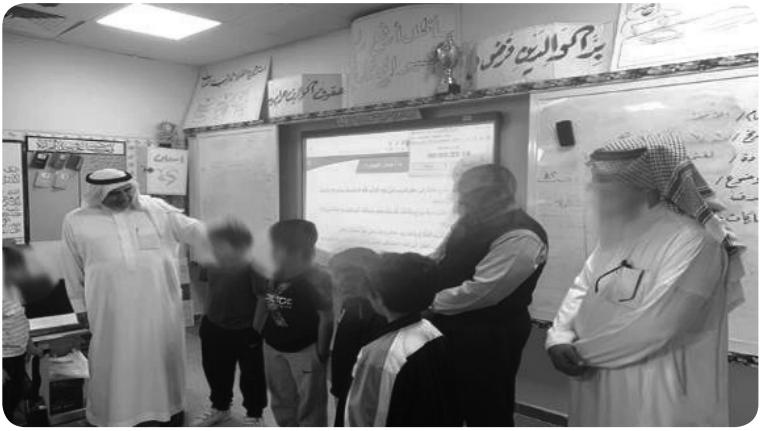

انظروا كيف يقف بثقةٍ واقتدار. لقد استحضرت القصة السابقة التي كتبها عبد التواب يوسف عن والده المعلم، وأنا أنظر إلى هذا الطالب وأُستاذه، وكأني أرى هذا الصغير في المحافل يهزُّها بفصاحته وبيانه. فكم لدينا -ولله الحمد- من معلِّم ربّاني، هو يُوسف المعلّم القُدوة.

لقد كدتُ أصفقُ تلك اللحظات؛ إعجابًا بذاك الطالب، فيا ترى كيف تَرَبّى هذا الفتى الغضّ، وكيف صارت له هذه الشخصية الجريئة؟! أهي أسرته التي ربّته هذه التربية، أم هو الكتاب المدرسي والمنهج

الدراسي؟! أم هو المعلم وأستاذه؟! وهو ما يترجّح لدي؛ لقد بَنَى مُعَلّمه شخصيته، فجعل منه هذا الطالب الجريء الذي تصرّف بتلك الطريقة؛ حين غاب تركيزه عن موضوع استحضر موضوعًا آخر ونقلَنا إليه.

إنَّه المعلم؛ أعطني معلمًا، واتركه هو مَلِك الفصل.

إن نجاح هذا المعلم مع طلابه في مدارس ابن خلدون، وغيره من المعلمين الباقين في الذاكرة؛ المعلمُ محمد في مدرسة الجزائر بالرياض، والمعلم السريحي في المدينة المنورة، وأمثالهما، هذه النماذج تُؤكد أن المعلم هو موضع الرهان.

إن نهضة التعليم مرهونةٌ بتوفيق الله ثم بأداء المعلمين؛ فبقدر ما يُقدمونه من عطاء يَصْنَعُون الغد، وبقدر إخلاصهم وبذلهم يَصوغون مستقبل الوطن الباسم. وحين ننتقد أداء المعلمين، وننسب القصور إليهم، فليس النقد للجميع، فهناك فئة تميزت في الماضي والحاضر، ثمَّ أيكون القصور التربوي في أداء

بعض المعلمين ناتجًا عن مناهج إعدادهم، أم عن مُعلميهم في كليات التربية؟ أيكون الخلل من ضَعْفِ الدافعية لديهم أم في قلة برامج التدريب والتطوير؟ أم ثمة أسبابٌ أُخرى؟ ثم كيف نرفع من كفاءة المعلمين؟

هي تساؤلات، قبل الإجابة عنها سأُشير إلى بعض الكتب التي تيسَّرَ لي قراءتها مؤخرًا وعلقت بالذاكرة.

تجربة قادة!

من تجاربهم نستفيد، قال أبو حيّان التوحيدي: «تجارب الأولين مرايا للآخرين».

قرأتُ كتاب (الطريق الوعر) للرئيس الكوري لي ميونج باك، وكتاب (التحول من العالم الثالث إلى العالم الأول؛ قصة سنغافورة من عام ١٩٦٥-٢٠٠٠)، لرئيس وزراء سنغافورة الأسبق لي كوان يو، وكتاب (توفير التعليم لـ ١,٣ مليار إنسان) لمؤلفه لي لانكينغ، النائب السابق لرئيس الحكومة الصينية، الذي يتحدث فيه عن السنوات العشر التي قضاها في إصلاح قطاع التعليم وتطويره في الصين.

هذه الكتب تناولت التعليم في تلك الدول، وبقراءتها نعرفُ أن المعلم هو الأساس في نهضة

الأمم، وأنهم ركزوا على المعلمين؛ فالرئيس الكوري يحكي قصته في كتابه هذا، وكيف عطف عليه أساتذته وساعدوه في الالتحاق بالمدرسة، وشجّعوه على التحصيل العلمي، وصنعوا منه رجلًا استطاع فيما بعد قيادة تلك الدولة الواعدة.

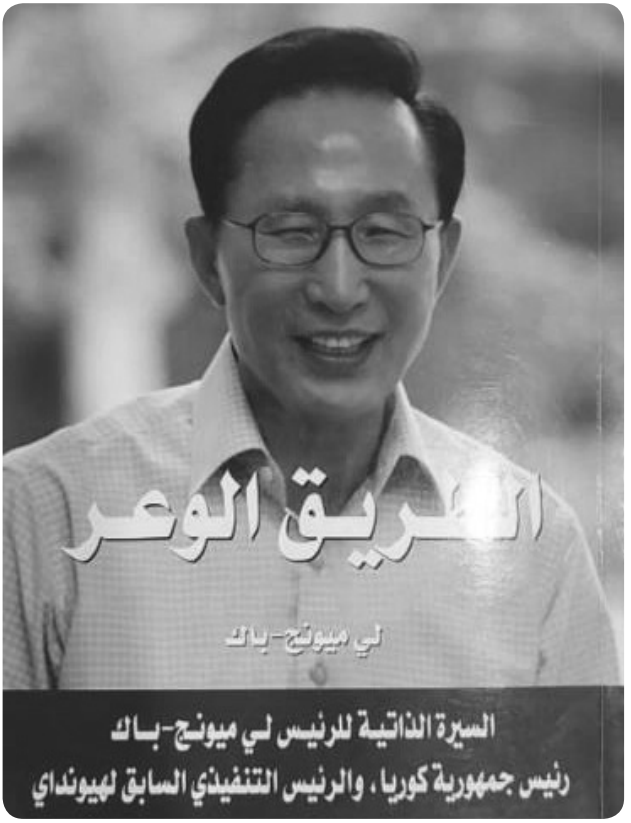

كان هـذا الرئيـس الكـوري فقيـرًا واشـتغل عامـل نظافة؛ لكي يجمع تكاليف تعليمه. هِمةٌ، وإرادةٌ، وأساتذةٌ مُخلِصون أهّلوه ليكون قائدًا لوطنه. التعليم هو المعلم.

والرئيس السنغافوري يعرض في كتابه هذا (قصة سنغافورة) وكيف تحولت من دولة فقيرة إلى نموذج دولي يُشار إليه، ويَذْكُرُ المعلمين بالإطراء والإكبار.

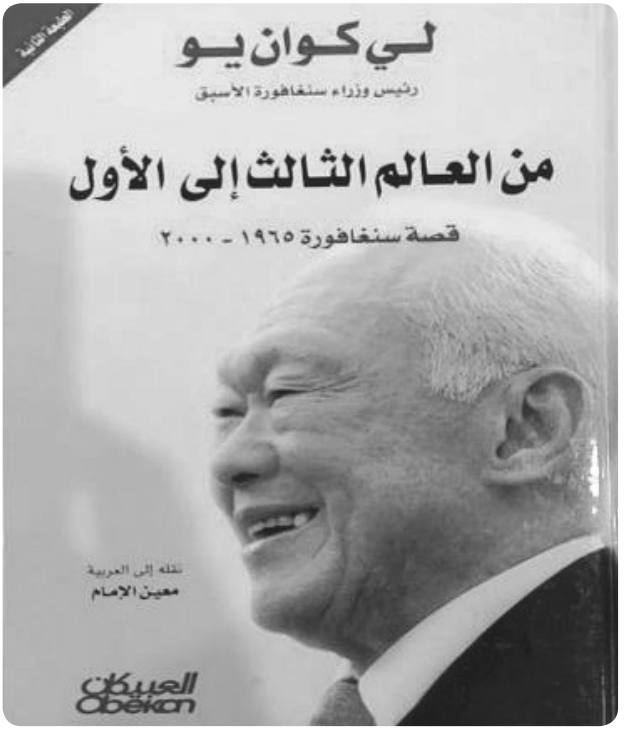

كانت سنغافورة عام ١٩٦٥م فقيرة، أرسلت وفدًا إلى مصر، وخاطبت الرئيس عبد الناصر تنشد الخبرة المصرية، كان دخل الفرد في السنة ٤٠٠ دولار، فنهضت بالعلم. وجاء في كلمة كسينجر في مقدمة كتاب لي كوان يو (قصة سنغافورة) ما نصُّه: «قفز متوسط دخل الفرد من أقل من ألف دولار عند الاستقلال إلى حوالي ثلاثين ألفًا حاليًا، وغدت الآن رائدة التقانة المتقدمة في جنوب شرق آسيا ومركزًا تجاريًّا عالميًّا مهمًّا، ولاعبًا رئيسًا في اقتصاد وسياسة منطقة جنوب شرق آسيا وما وراء تخومها»[1]. لقد ركزوا على التعليم، يقول الرئيس: «من حسن حظنا أن سنغافورة حين كانت تحت الاستعمار البريطاني، كان لديها معاهد مرموقة لتدريب وتأهيل المعلمين». التعليم هو المعلم.

ووصلتني بوسائل التواصل المقولة التالية، التي وجدتها حقيقة حين زُرت سنغافورة قُبيل الضيف الدولي الثقيل (كورونا).

(١) قصة سنغافورة، ص٢١. وحسب تقرير الأمم المتحدة الأخير احتلت سنغافورة المركز الثالث عالميًّا في دخل الفرد؛ حيث يصل دخل الفرد إلى ٦٤,٥٤٨ دولارًا.

ويقول المسؤول الصيني في كتابه (توفير التعليم لـ ٣ مليار إنسان):

إنهم ركّزوا في برنامجهم الإصلاحي لقطاع التعليم على الفارس المعلم؛ فزادوا راتبه، ووفّروا له السكن، وأعلوا من قيمته الاعتبارية في المجتمع الصيني، ويقول: «إن احترام المعلمين يُسهم في

تقدم الصين وفلاحها»[1]. ويقول: «يجب أن نعتني ببناء مساكن للمعلمين أكثر من عنايتنا بتشييد أبنية حكومية وقصور ضيافة تتمتع بباحات واسعة وقاعات استقبال ضخمة»[2].

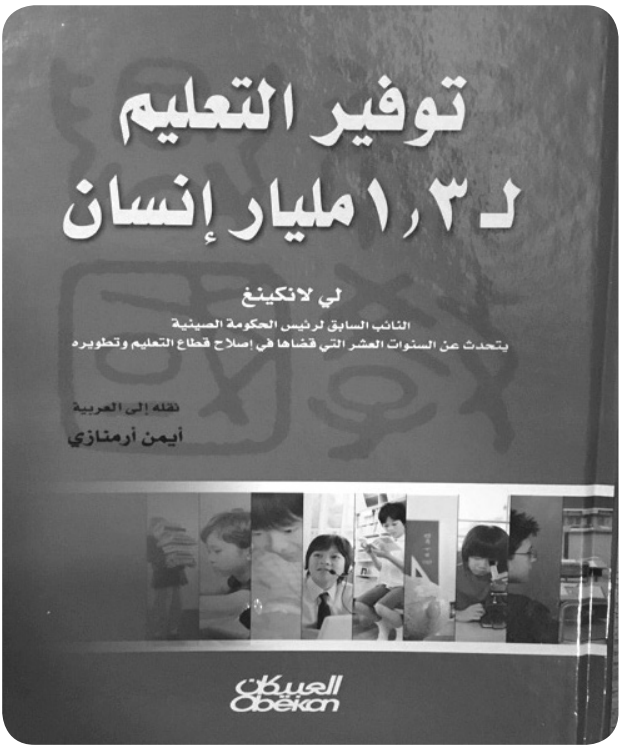

(١) توفير التعليم لـ ١,٣ مليار إنسان، لي لانكينغ، ص٥٢.

(٢) توفير التعليم لـ ١,٣ مليار إنسان، لي لانكينغ، ص٥٩.

ونجح الرجل؛ إذ يقول: «أصبح احترام المعلم وتقدير التعليم تقليدًا صينيًّا كما كان في الماضي»[1]. وقد تحقق للصين التفوق في نتائج الاختبارات الدولية -سأشير إليها في الفصل القادم- إذْ سنرى تفوق الصين وحصولها على المراكز المتقدمة.

إنه المعلّم فارس التطوير، هو المعلم، المعلم.

وقفزت ماليزيا ونهضت وتميزت على دول كثيرة؛ إذ يقول رئيسها السابق مهاتير محمد، وقد صدق في قوله:

(١) المصدر السابق، ص٦٨.

شهادة خبيرين

خبيـران يقصّـان شـهادتهما حـول المعلـم، وأنـه الأساسـ فـي التطويـر، وذلـك فـي كتابيـن جديريـن بالقراءة؛ الكتاب الأول قديم اسمه (سر تقدم الإنكليز السّكسُونِيِّين) للمؤلف الفرنسي إدمون ديمولان، صدر عـام ١٨٩٧م؛ أي قبـل ١٢٥ سـنة.

فـي كتابـه هـذا ينتقـد التعليـم فـي بـلاده، ومـن ثـم فنقـدُ التعليـمِ والمطالبـة بإصلاحـه ليس اليـوم فقـط، بل فـي كل زمـانٍ، ولـدى كل أُمّـة. ممـا قالـه ذاك المفكر الفرنسـي: «إذا سـألت مئـة شـابٍّ فرنسـاوي عقـب خروجهـم مـن المدرسـة أيَّ صنعـةٍ يريـدون أن يشـتغلوا بهـا أجابـك ثلاثـة أربـاعهم إنهم يتطلعـون إلـى التوظيف

في الحكومة»[1]. ويقول: «وأَذْكُرُ أبناء العائلات وما سُموا كذلك إلا لاعتمادهم على عائلاتهم وأموال عائلاتهم أكثر من اعتمادهم على أنفسهم»[2].

ويقول: «إن تُجّارنا ومهندسينا يُفضّلون العمّال الألمانيين أو السويسريين، والصُّناع البلجيكيين أو الطليانيين على أمثالهم من الفرنساويين؛ إذ يجدونهم أشدّ إطاعة،

(١) سر تقدم الإنجليز السكسونيين، ص٤٣.
(٢) المصدر السابق، ص١٢١.

وأكثر عملًا، وأكبر اقتصادًا، وأقلّ طمعًا»[1]. كأنه يتحدث عن واقعنا في المملكة اليوم.

وكان لذلك الكتاب أثره الكبير حينذاك؛ إذ أشادت به الصحافة ورجال الفكر، إذ قال أحدهم: «إن كان في ديمولان شيءٌ يُوجِب الإعجاب فهو حُسن مقصده»، ويقول: «كل الناس يعترفون بأنه مُصيبٌ في انتهائه إلى أن مشكلة فرنسا هي في سوء التربية، فليست المسألة الاجتماعية إلا مسألة تربية، فكما تكوَّنَ الآباءُ تَكوّنَ الأبناءُ، وكما تكوَّنَ الأبناءُ تَكوّنَ الرجالُ، وكما تَكوّن الرجالُ تَكوّنت الأُمّة»[2].

وأوَرَدَ في كتابه عددًا من القواعد التربوية لرفع كفاءة التعليم التي توصل إليها بعد زيارته لبريطانيا، ودراسة واقع التعليم لديهم، ومن أهم ما أشار إليه ما يأتي:

(١) المصدر السابق، ص١٤١.

(٢) سر تقدم الإنجليز السكسونيين، ص٧.

أولًا: يقول: «الواجب في تربية الأطفال وجعلهم رجالًا أن يُعامَلوا معاملة الرجال، فيستفزّهم المُربّي بمخاطبة وجدانهم على قدر الإمكان»، ويقول: «أخبرني خبيرٌ إنجليزي أن هذه الطريقة لا تُضعف من رغبة الأطفال في العمل بل تُقويها؛ لأنها ليست متعلقة بمكافأة أو امتياز، بل راجعة إلى العمل نفسه؛ إذ يجب ألَّا يفهم الطفل أن المكافأة أو الامتياز هو الغرض النهائي من التربية»[1]. إذن المعلم، المعلم، المعلم.

ثانيًا: بناء شخصية الطلاب، وتعويد الشباب على ما ينفي عنهم الخجل وسوء الحركة. وأكّد الكاتب أهمية اللغة وإثراءها، وأورد مقولةَ إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني الذي يقول: «يجب أن تكون اللغة الألمانية هي الأساس لجميع التعاليم الأخرى، ومتى نجح التلامذة في امتحانها التحريري كان ذلك دليلًا على ذكائهم ومقدار استعدادهم. إني

(١) المصدر السابق، ص٨٨.

أريد أن يعرف الألمانيون تاريخ بلدنا وخططها وقصصها معرفةً حقيقة؛ إذ يجب علينا أن نبتدئ بمعرفة الدار التي نسكنها»[1]. فهو يُركز على اللغة الأم بوصفها الأساس لبناء الشخصية؛ إذ هي لغة التعليم، وأساس في بناء شخصية الطالب وانطلاقه، فكيف بمن يجعل الأولوية للغة الأجنبية!

والكتاب الثاني حديثُ الصدور، وهو بعنوان: (أسطورة الكسل)، لمؤلفه الدكتور مل ليفين من أبرز خبراء التعليم الأمريكي.

وهو طبيب أطفال أمريكي وتربوي وعالم نفس، عمل في الميدان التربوي النفسي أكثر من ثلاثين سنة، وقد قادته تجاربه الكثيرة في علاج الأطفال الذين يعانون خللًا في التعليم إلى وجود قصور في الثراء اللغوي؛ إذ يقول: «أدهشني في السنوات الأولى لممارستي المهنة في العيادة العدد الكبير من الأطفال المحالين إليّ للعلاج»[2]. ويقول: «لأنني طبيب أطفال،

(١) سر تقدم الإنجليز السكسونيين، ص٦٣.

(٢) أسطورة الكسل، ص١٦.

وتنحصر خبرتي الطبيّة في المجموعة العمرية من خمس إلى ثماني عشرة سنة؛ فإن أغلب ما سأقوله يتعلق بالإنتاجية في المدارس»[1].

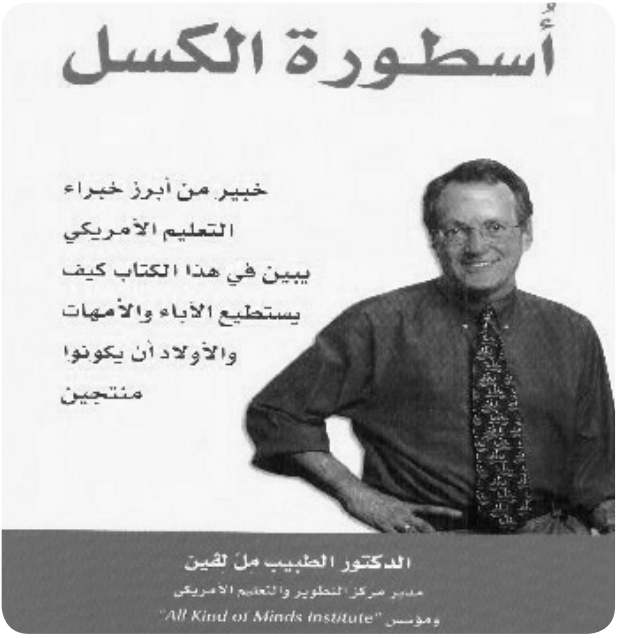

ويشير إلى مشكلة ضعف مخرجات التعليم بوصفها مشكلة يعانيها الجميع، فيقول: «وجدت خلال سنوات عملي في العيادة وفي البحث العلمي أن الصعوبة في

(١) المصدر السابق، ص١٩.

الكتابة هي المؤشر الدال على قصور المردود خلال سنوات الطفولة والمراهقة. ويعاني أغلب مرضاي ذوو المردود القاصر من صعوبة في التعبير عن أفكارهم خطّيًّا»[1]. أي إن المشكلة هي في الضعف اللغوي، وتلك مسؤولية المعلم. فهي اللغة والمعلم.

ويذهب إلى أنه استقى القصص المعروضة في كتابه من خبراته الشخصية من أشخاص واقعيين قابلهم خلال ما يزيد على ثلاثين سنة، وقفها لفهم التطور الإنساني وإصلاح الخلل فيه. وانتهى إلى أن أهم مشكلات التعليم تكمن في ضعف اللغة، وقلة الثراء اللغوي، يقول: «خلال السنوات الماضية صادفتُ كثيرًا من الطلاب في حالة شلل أكاديمي بسبب عدم تمكنهم من تلبية متطلبات إنتاج اللغة في المدارس، ويتفاقم ضعفهم اللفظي ليصبح قصورًا خطيرًا في المردود»[2].

إذن هو المعلم فارس التعليم، وهو المعلم مصدر الثراء اللغوي.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٠.

(٢) أسطورة الكسل، ص٢٠.

الاختبارات الدولية

اطلعتُ على نتائج البرنامج الدولي لتقويم الطلبة (بيزا) ٢٠١٨م الذي شاركت فيه المملكة؛ إذ دخل الاختبار (٦٠٠,٠٠٠) ستمئة ألف طالب وطالبة يمثلون ٣٢,٠٠٠,٠٠٠ طالب وطالبة في سن الخامسة عشرة بمدارس ٧٨ دولة. والبيان المرفق يوضح ترتيب الدول، ويتضح أن المملكة جاءت في المرتبة الـ ٦٥ من بين ٧٨ دولة، وجاء في النتائج ما يأتي:

* أعلى درجة في القراءة للصين (٥٥٥) درجة، وأدنى درجة الفلبين (٣٤٠) درجة، ومعدل منظمة التعاون الاقتصادي للتنمية (٤٨٧) درجة، وحصلت المملكة على (٣٩٩) درجة أقل من المعدل.
* أعلى درجة في الرياضيات الصين (٥٩١) درجة،

وأدنى درجة جمهورية الدومنيكان (٣٢٥) درجة، ومعدل منظمة التعاون الاقتصادي للتنمية (٤٨٩) درجة، وحصلت المملكة على (٣٧٣) درجة أدنى من المعدل.

* أعلى درجة في العلوم الصين (٥٩٠) درجة، وأدنى درجة جمهورية الدومنيكان (٣٣٦) درجة، ومعدل منظمة التعاون الاقتصادي للتنمية (٤٨٩) درجة، وحصلت المملكة على (٣٨٦) درجة.

وبقراءة هذه النتائج، أُشير إلى الأمور الآتية:

أولًا: لا يمكن أن يقول قائل: إن التميز والتفوق بسبب جينات الذكاء واختصاص بعض الأمم بها دون بعض.

ثانيًا: في معظم دول المنظمة تفوّق الأولاد على البنات في الرياضيات، وتفوق البنات على البنين في مادة العلوم بفارق درجتين، أما المملكة فتفوقت البنات في جميع المواد وفي مادة العلوم بفارق كبير؛ «٢٩» درجة.

ثالثًا: وردت إشارةٌ إلى موضوع التنمر وشكوى الطلاب منه؛ إذ أشارت الدراسة إلى أن ٣٠٪ من طلاب المملكة أفادوا بتعرّضهم لحالات تنمّر عدّة مرات على الأقل في الشهر، مقابل ٢٣٪ في المتوسط في دول المنظمة؛ أي إن المملكة أكثر شكوى من غيرها في موضوع التنمر!

إن هذه النتائج تستدعي تساؤلات عدّة هي:

- لماذا البنات في المملكة يتفوقن على البنين مع أن المناهج واحدة؟
- لماذا تكون المملكة في ذيل القائمة، مع أنها تنفق بسخاء على التعليم؟
- لماذا معدل التنمر في المملكة أعلى منه في دول المنظمة، مع حرص المملكة الشديد على ترسيخ القيم الأخلاقية الدينية التي يتربى عليها الطلاب ويدرسونها، ولكن لم يظهر أثرها عليهم؟

إن هذه المؤشرات تُرجّح عندي أن تطوير التعليم ونهضته مرهونان بأداء المعلمين. فالمعلم، المعلم.

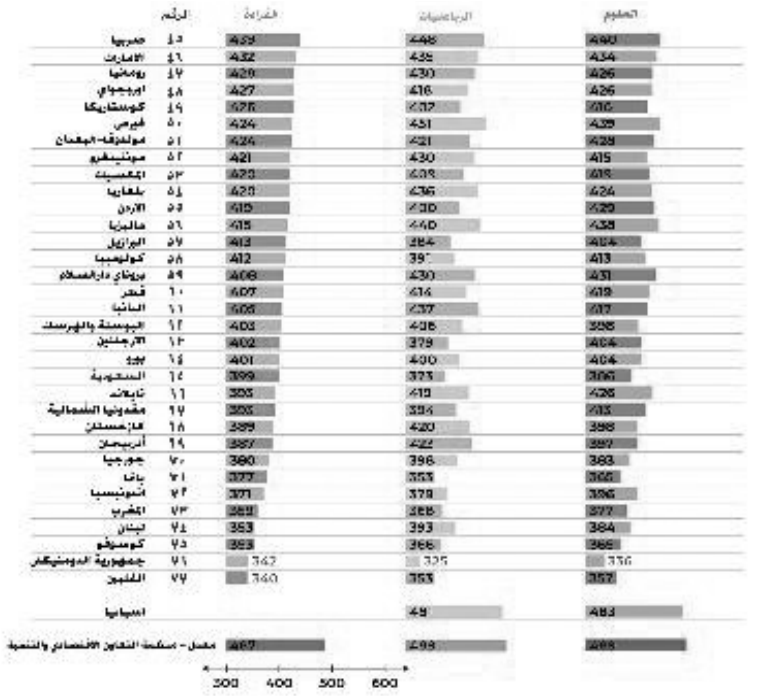

سبق أن أجرت وزارة التعليم في المملكة دراسة ميدانية مقارنة حول مادتي الرياضيات والعلوم في عددٍ من الدول المتقدمة، وكانت النتيجة أن المملكة تتماثلُ مع تلك الدول في المحتوى المُقدَّم، فإذن ما سبب القصور

لدينا؟ ولماذا تتأخر المملكة في الترتيب كلما دخلت الاختبارات الدولية؟

ذهبتُ قبل أشهر من وباء كورونا مع وفدٍ تربوي من شركة ابن خلدون التعليمية إلى سنغافورة؛ لعلنا نعرف السبب في تقدّمهم وحصولهم على المراكز المتقدمة، فذَكّرَني ما رأيته هناك بما سبق أن وجدته في اليابان قبل عشرين عامًا، حين زُرتها يوم كنتُ مسؤولًا في الدولة. لقد عرفنا أن سر تقدمهم هو جدّية الطلاب والمجتمع في التحصيل العلمي، وحزمهم، واحترامهم للوقت، وامتدت الجدّية للمعلمين؛ فاختاروهم بعناية، وراقبوهم، وقاسوا أداءهم، وتفاعَلَ المعلمون مع هذه المِهنة النبيلة، فأدوا العمل بإخلاصٍ وصدق.

تأملوا هذه الصورة في تلك الروضة السنغافورية لتروا كيف يربون الصغار على الجدّية والاعتماد على النفس، ويزرعون فيهم حبَّ العمل وتبجيله منذ الطفولة المبكرة.

لقد تذكّرت وأنا أشاهد تلك النماذج تلك الأمَّ السعودية التي تتصل بالمدرسة، وتطلب من مدير المدرسة الترفُّق بابنها، وتذكُر له أنها تضع الأكل في فم ابنها، وتقدِّم له حذاءه وهو في الثالثة عشرة من عمرِه، في حين أن هذا الطفل السنغافوري عمُرهُ ثلاثُ سنوات، ويطوي فراشهُ، ويضعُ أغراضهُ في أماكنها المخصصة. شتّان.

وقبل وباء كورونا أيضًا شددت الرحال أنا وفريقٌ تربوي من شركة ابن خلدون التعليمية إلى مدرسة

الإمام النووي الابتدائية الحكومية في ينبع؛ لأنها نالت المركز الأول في القراءة على مستوى الوطن العربي، ونالت بذلك جائزة «**تحدي القراءة**» في دبي، وقابلنا مديرها الأستاذ الفاضل أحمد العسيري، فوجدناها مدرسة عادية، لا ميزات فارقة لديها، لكن قوة الإرادة لدى الإدارة، وعلو الهمَّة عند مدير المدرسة والمعلمين صنعا الفرق؛ إذ أثبتوا أن تطوير التعليم وصناعة الرجال ميدانه المدرسة، فتفاعل العاملون في المدرسة، وجدُّوا فجدّ طلابهم، ونالوا المركز الأول. إنه المعلم، إنه المعلم.

الرِّقَّةُ والحزم

إن ما رأيته في حياتي التعليمية، وفي أثناء خدمتي في الميدان التربوي، مُنذ أن كُنتُ معلمًا، وما قرأته من كتب تربوية، وما وجدته في زياراتي الميدانية، وما أسمعه من نقدٍ للتعليم في بلادنا، دفعني إلى التفكير في العلاج وإبداء الرأي حول رفع كفاءة التعليم لدينا.

إن نهضة التعليم مرهونةٌ بتوفيق الله ثم بأداء المعلمين والمعلمات. ولكي يتميز أداؤهم؛ يجب تنحية العواطف والمجاملات، واستعمال العقل في المنظومة التعليمية!

هما اثنان؛ فريق الطلاب وفريق المعلمين. كل معلم يُدَرِّسُ في الغالب يوميًّا أربعة فصول؛ أي إنه يقابل

مئة عقل يوميًّا. والعقلُ والمنطقُ يقولان: المئة أهم، في حين تقول العاطفة: ذاك المعلم مواطنٌ يبحث عن العمل فامنحوه فرصةً، وترفّقوا به حين يخفق ويقصّر وقدّروا ظروفه.

إن الدافعية للعمل ضعيفة عند كثير من المعلمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

وإن تحريك الدافعية وتفعيلها عند المعلمين كفيلٌ بتطوير التعليم والقفز للصدارة، لكن هل يستجيب المعلمون والمعلمات؟ وهل يستشعرون ذاك المسار الناعم ويتفاعلون معه؟

ثم ما الدافعية المُؤثرة؟ لقد نظرت في كتاب الله الكريم، فوجدت عددًا من القواعد التربوية المُوَجِّهة، أظن لو تفاعل معها المعلمون والمعلمات واستشعروها، وعملوا بها لتحققت الريادة. ولو فعّلوا هذا الخيار الأرقَّ والأجمل والأكثر فائدة، لما احتجنا إلى القانون

الصلب الذي أخذت به تلك الدول التي تفوّقت ونالت الصدارة. منحوا المدارس صلاحية تعيين المعلمين وفصلهم على ضوء إنتاجيتهم.

لقد استحضرتُ نظرة المعلمين في بلادنا لمهنتهم ولأدائهم وللواقع العملي وأنا أقرأ وأتأمل في القرآن الكريم، واستوقفتني بعض الآيات القرآنية، وربطتها بحالتنا التعليمية، واستعرضتُ تلك الأسئلة التي تدور حول التعليم ونقده، وكيفية العلاج وتطويره. إن تحريك همّة المعلمين مطلبٌ تربوي، لكن كيف السبيل لتحريك الهِمم، والدفع بهم للحماسة والجدّية، ومن ثمَّ الدفع بالطلاب والطالبات للجدّية وطلب العلم؟

إن هناك قواعد تربوية مهمة تناولت شأن المعلم، ورسمت منهج إعداده ومسار عمله، ورفْعَ كفاءته، وزيادة إنتاجيته، يمكن استنباطها من القرآن الكريم، وأحسب أن المعلمين لو اتخذوا هذه القواعد منهجًا لهم في أداء رسالتهم النبيلة لحققوا التطور المنشود.

وتساءلتُ كثيرًا كيف يكون داء التنمر في المملكة أعلى من دول المنظمة الدولية، مع أن لدينا في المملكة قيمًا دينية تضمنتها مناهجنا التعليمية، ويُرددها المعلمون والمعلمات في الفصول الدراسية؟ فأين أثرها؟!

إن القرآن الكريم كتابٌ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وفيه كل المعالجات ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. تدبروا قوله تعالى: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، اجعلوا هذا القول الإلهي ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ أمام ناظريكم، كبِّروا أحرفه، واستعيدوه مرات، وكرروه عشرات، وتدبَّروهُ مرات ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، حتمًا ستجدون فيه الشيء الذي تُريدونهُ، والشيء الذي تنشُدونهُ.

إن فيه الهداية والنور، ومهما جاء من نظريات تربوية في مجال تطوير التعليم، وما دُوِّن من آراء تعليمية لرفع كفاءة المعلم، فليس هناك أصدق من القرآن؛ ففيه الهداية، وفيه الشفاء، وفيه النجاة؛ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

إن القواعد التربوية الواردة في الصفحات التالية، المستنبطة من كتاب اللّٰه، ليست وعظًا وتنظيرًا؛ يقرؤه المُؤيدون فيباركون، وينظُرُ إليه المعارضون فيتجاوزون، وربما يسخرون.

إنني أرى أنه مشروعٌ تربويٌّ كبير لتطوير التعليم، فرفع كفاءة المعلم رفعٌ لمخرجات التعليم؛ ولهذا أرى أن نجعل من هذه القواعد نقطة انطلاق لتأسيس رُؤية تربوية جديدة لمراجعة برامج ومسارات تطوير التعليم، وأن نجعل لكل قاعدة من القواعد القرآنية المشار إليها: برنامجًا عمليًّا تفاعليًّا، ومسارات تربوية تدريبية، وندوات، وحلقات نقاش.

قواعد قرآنية

استنبطتُ من القرآن الكريم عددًا من القواعد التربوية تتضمنُ معالم قرآنية، ومنارات هداية؛ لرفع كفاءة المعلم، ومن ثمَّ تطوير التعليم وتجويد مخرجاته، وأرى أنها مضمونة النتائج؛ فكلام الله حق.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

إنها قواعد تيَسَّرَ لي الوصولُ إليها، وأجزمُ أن هناك آياتٍ أُخرى تشتمل على قواعد وتوجيهات تربوية أخرى هادية هادفة يُمكنُ إضافتها إلى هذه القواعد،

كما أن هناك أحاديث نبوية تتناول الشأن التعليمي ورفع كفاءته.

القاعدة الأولى: الشعور بسمو المهنة

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

إن العزّة والفخر بمهنة المعلم وسُمُوَّها قاعدةٌ مهمّةٌ، فلا يأتِ المعلم إلى المدرسة وهو يشعر بالدونيّة والنقص، بل يجب عليه أن يأتي إلى المدرسة وهو يتيهُ فخرًا بمهنته كما يتيهُ الفارسُ ببطولتِه. إن المعلم يجب أن يكون رافع الرأس، مزهوًّا بمهنته، فالله -سبحانه- هو المعلِّم الأول يقول جلَّ جلاله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١]. وهدى الله البشرَ كلهم للعلم؛ ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. إذن، فالمعلم الأول هو الله سبحانه، أرسل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ليُعَلِّم خَيْرَ البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]. قال جبريل: اقرأ: قال الطالب

المُتعَلِّم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أنا بقارئ. قالها بخوفٍ، حاله حال الطالب المستجد الذي يعتريه الشعور بالخوف والقلق نتيجة المباشرة المفاجئة بالسؤال فيما لا يعرف. ردَّ عليه مُعلِّمُ السماء: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥]، وقرأ الطالب المبارك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستمر جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثًا وعشرين سنة يعلِّمُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وبهذا التعليم كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المعلم القدوة؛ علّم الصحابةَ القرآن، وعلَّمهم أحكام الدين، والسنة النبوية، وكان قُدوة المعلمين، وخِيرَةَ المربين، ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ونقرأ سيرَته فنراه حينَ يُعلّم الصحابةَ يُطبّقُ على نفسه ما يأمرهم به؛ فيَجوع معهم، ويظمأ معهم، ويُصَلّي بهم، ويصدقهم في القول والعمل، يترفق في تعليمهم، ويتحمل ويصبر على جاهلهم حتى يفهم. جاء رجلٌ فبال في ناحية المسجد، فزجره الصحابة،

ولكن الرسول نهاهم وترفّق بجهله، ونصحه برفق. لقد جَسَّد التطبيق الحقيقي مع ذاته، ونَفَّذ الواقع العملي مع نفسه، فتسابق طلابه الصحابة يأخذون عنه دروسًا عملية، وموادَّ دراسية ميدانية ﷺ.

وقد أعلى الله من شأن مهنة المعلمين لانفرادها عن غيرها من المهن بالاهتمام الربّاني بها، فالمعلمون يتعاملون مع العقل والفكر، فكل معلِّم يصقل العقول وينقلها من الجهالة إلى العلم هو ممن أعلى الله شأنه، ويكفي المعلمين سُموًّا أن الله رفع درجاتهم، يقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

أنتَ -أخي المعلم- بضاعتك العلم، وفي الفصول الدراسية تبُثُّ العلم، فأنت بمشيئة الله من المشمولين بهذه الآية، فطُوبى لك!

يُروى عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: «أيُّها النّاسُ، افْهَمُوا هَذِهِ الآيَةَ ولتُرَغِّبْكم

في العِلْمِ، فَإنّ اللّٰهَ يَرْفَعُ المُؤْمِنَ العالِمَ فَوْقَ مَن لا يَعْلَمُ دَرَجاتٍ»[1].

إذن، يجب أن يشعر المعلم والمجتمع كله بأن مهنة التعليم ساميةٌ وراقية، ولها الصدارة على كل المهن، وَلْيُمَارِس المعلم مهنته بعزّةٍ وفخر، وَلْيَتِهْ برسالة النور والمجد. إن هذه الهداية التربوية ركنٌ مهمٌّ في العملية التعليمية، ومن ثمَّ يجب على المعلم أن يعلي صوته، ويفخر بمهنته، فكفاه فخرًا أن اللّٰه -سبحانه- هو المعلّم الأول، وأن رسول اللّٰه ﷺ هو قدوة المعلمين.

إن هذه القاعدة التربوية (سمو المهنة) لها أهمية كبيرة في ميدان التعليم، ويتطلب تفعيلها إقامة ندوات إعلامية تتحدث عن مكانة مهنة المعلم، وتوجيه وسائل الإعلام لإبراز أهمية وظيفة المعلم، والكفّ عن السخرية والشماتة ببعض الأخطاء التي تصدر من بعض المعلمين، وتشجيع وإقامة المناسبات لتكريم المتميزين

(١) تفسير ابن الجوزي، سورة المجادلة، الآية ١١.

من المعلمين في أثناء العام الدراسي وفي نهاية كل فصل دراسي، ودفع أولياء الأمور والأمهات لزيارة المدارس، والإشادة بعمل المعلمين والمعلمات، وأن تضع الدولة برامج رمزية لتكريم المعلمين والمعلمات؛ كتنظيم زيارات مستمرة لعيّنات من المعلمين والمعلّمات لمنشآت الدولة ومراكزها المهمة، وتوجيه الوزراء وأمراء المناطق لتخصيص جلسات احتفاء بالمعلمين، وهكذا.

إن مما يُؤسف له أن يتبارى المجتمع في تكريم الوجيه فلان، والمسؤول فلان، في حين نبخل بكلمات الثناء والتقدير لمربي ومربيات فلذات الأكباد.

إذن، فتفعيل قاعدة (سمو المهنة) وتطبيقها في الواقع العملي يتطلب برنامجًا خاصًّا تدفع به وزارة التعليم؛ لترتفع مكانة المعلم ومقامه في المجتمع. يقول المسؤول الصيني عن تطوير التعليم في الصين: «دفعنا كثيرًا بمهنة المعلم وأعلينا قدرها ومقامها».

هذا، وقد رأيت في أثناء زيارتي للمدارس اليابانية والسنغافورية كيف يحترم الطلاب معلميهم، فما إن

يدخل المعلم عليهم حتى يقفوا وينحنوا له تحيةً، ويكادون يسجدون له، ويُطلقون عبارات الترحيب والترجي والتوسل أن يجود لهم بعلمه.

فما حالنا ونحن أُمة الإسلام، وقد أعلى ديننا شأن هذه المهنة!

القاعدة الثانية: التحلّي بالربّانية

قال سبحانه وتعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

أمر الله -سبحانه- بالتزام المنهج الرباني الذي هو الأساس في مِهْنَةِ المعلم، نستنتجُ ذلك من الهدي القرآني للآية الكريمة السابقة: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾.

فبسبب تعليمكم ومُدارستكم الطلاب ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾، ومن ثم فصفة الرباني تأتي بسبب التعليم والتعلّم في الآن نفسه.

قال الشيخ ابن سعدي في تفسيره: «يأمرهم بأن يكونوا ربانيين؛ أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل»[1]. وفي فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قال ابن عباس: «كونوا ربانيين حكماء فُقهاء. ويُقال: الرَّبَّاني الذي يُرَبِّي النَّاس بِصغار العلم قبل كِباره»[2].

وأقول: إن في القرآن الكريم الإرشاد والتبصرة، وإن من أهمِّ أسباب ضعف التعليم وتراجعه تدني أداء المعلم، واختفاء المعلّم الرباني، ومن أهم وسائل تطوير التعليم توفير المعلم الرباني، فحين يستحضر المعلم رقابة الله، ويخلص لمهنته، تستجيب له قلوب طلابه. وكما قال الإمام الشوكاني في تفسيره: لهذه الآية ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٣٦.
(٢) فتح الباري لابن حجر، ١/١٩٢.

«وفي هذه أعظم باعِثٍ لِمَن عَلَّمَ عَلى أنْ يَعْمَلَ، وإنَّ مِن أعْظَمِ العَمَلِ بِالعِلْمِ تَعْلِيمَهُ، والإخْلاصَ لِلَّهِ سُبْحانَهُ»[1].

وأكد هذا الرأي قَبْلَ الشوكاني الإمامُ الرازي؛ حيث قال في تفسيره: «دَلَّتِ الآيَةُ عَلى أنَّ العِلْمَ والتَّعْلِيمَ والدِّراسَةَ تُوجِبُ كَوْنَ الإنْسانِ رَبّانِيًّا، فَمَنِ اشْتَغَلَ بِالتَّعَلُّمِ والتَّعْلِيمِ لا لِهَذا المَقْصُودِ ضاعَ سَعْيُهُ وخابَ عَمَلُهُ، وكانَ مِثْلُهُ مِثْلَ مَن غَرَسَ شَجَرَةً حَسْناءَ مُونِقَةً بِمَنظَرِها ولا مَنفَعَةَ بِثَمَرِها؛ ولِهَذا قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وقَلْبٍ لا يَخْشَعُ»[2].

وقال الشيخ ابن عثيمين وهو يعلّق على هذه الآية الكريمة: «من فوائدها: الإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يكون معلّمًا ربانيًّا؛ لقوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾. أما ما يحصل من بعض الناس؛ وهو أن يكون معلّمًا لا ربانيًّا فإن علمه قاصر، قاصرٌ جدًّا؛ لأن فائدة العلم وثمرته هو العمل والتأدب بآداب العلم، فإذا كان هذا الرجل يملأ

(١) فتح القدير، ١/٤٤٧.

(٢) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

أدمغة الطلاب علمًا، ولكن ليس هناك سلوك وأخلاق وأعمال وعبادة فإن تعليمه ناقصٌ جدًّا؛ ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين كذلك: «من فوائد الآية الكريمة: أن المعلم للناس يصح أن نسميه ربانيًّا؛ لأنه قال: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ ولهذا نجد في تراجم العلماء رحمهم الله كثيرًا ما يصفون العالم بأنه العالم الرباني»[2].

إذن فالربانية تعني استشعار الأمانة، وتحمل المسؤولية لكل معلم مهما كان تخصصه، فعقول الطلاب أمانة في رقاب المعلمين والمعلمات؛ يصوغون مستقبلهم، ويصنعون غدهم، بقدر ما يبذلونه من عطاء، وما يقدمونه من جهد وأمانة.

إن إخلاص المعلم لمهنته، واستشعاره أنه صاحب رسالةٍ وهمٍّ وطني يدفع به للبذل والعطاء.

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

ولهذا، يلزم أن يُوضع لهذه القاعدة برنامجٌ تطبيقيٌّ يبدأ تشريبه المعلمين منذ إعدادهم لهذه المهنة النبيلة.

القاعدة الثالثة: الرحمة

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢].

إن الرحمة من أهم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها المعلم؛ اقرؤوا بداية سورة الرحمن، فقد بدأتْ بواحدٍ من أسماء المعلِّم الأول سبحانه، باسمٍ لهُ دلالته، بدأت باسم الرحمن، وبعدَهُ كلمة «عَلَّم» قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾، فما ورد في هذا المقام اسم آخر من أسماء اللّه الحُسنى وهي كثيرة، وفي ذلك إشارة إلى أن الرحمةَ يجب أن تكونَ منهج المعلم في التعليم، وأن تسبقَ التعليم، وأن تكون الرحمةُ صفةَ المعلم البارزة في تعامله مع طلابه؛ ليؤدي العلم ثماره وسبل تحققه.

إن علاقةَ المعلم بالطلاب عقلية، وقد شُرِّفَ الإنسان بالعقل، وبه ميَّزَه اللّه من سائر المخلوقات، ويلزمُ العقل غذاءً وزادًا، والعلم هو غذاء العقل وزاده،

والمعلم هو المُقدِّمُ لذلك الزاد. ولكي يتقبل الطالبُ ذاك الزاد؛ لابدَّ من علاقة محبّة ورحمة واحترام بين الطرفين؛ بين الطالب والمعلم، بين المُتَلقِّي والمُلْقِي.

وتلكم قصة نبي اللّه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع العبد الصالح الخضر الذي قابله ليتعلم منه؛ إذ نلحظ أنه مع ما اختصه اللّه به من علم فإن صفة الرحمة لم تفارقه كسلوك في تعليمه. تقول الآية الكريمة: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، فقُدِّمت صفة الرحمة على التعليم، بل ارتبطت بالعلم وتعلّمه صفةً ملازمة لمن امتهن مهنة التعليم. إن اللّه عَزَّوَجَلَّ في هذه الإشارات القرآنية يُنبّه إلى أن العلم لا يكون غرسًا مثمرًا إلا إذا رافقته الرحمة، وإذا فقد المعلم الرحمة قَسا ونفرت منه القلوب.

إن المعلم يقدِّم زاد العقل، وزادُه الفكر، ولا بد من تحبيب ذاك الزاد وتَحْليتِه. إنَّ زادَ الجسمِ إذا فقد الملح وحلاوة المذاق رفضتهُ الذائقة، وكذلك الفكر حلاوتهُ في الرفق، وطراوتهُ في الرحمةِ والحُب.

ووردت صفة الرحمة مقترنة بصفة العزّة لله -سبحانه- في القرآن في ثلاثة عشر موضعًا، ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]. فالمُتوكل ضعيف لمن هو أقوى منه، وكُلنا فقراء ضُعفاء لله العزيز الرحيم بعباده المؤمنين، فجاءت صفة العزّة مرتبطة بصفة الرحمة في وصف الله عَزَّوَجَلَّ، مع ما بين الصفتين من اختلاف في المعنى؛ إذ تشير صفة العزيز إلى القوة والشدة والغلبة في سياق الترهيب، في حين تشير صفة الرحيم إلى الرقة والعطف في سياق الترغيب، ومن هذه الآية وغيرها نستنبط أهمية التحلي بالرحمة بالنسبة للمعلم؛ لكونه امتدادًا للمعلم الأول الله عَزَّوَجَلَّ، فالمعلم أقوى وأمكن من الطالب، وكلمةٌ قاسية من المعلم، أو فظاظةٌ قوليةٌ على الطالب، أو خشونةٌ في مُعاملته، قد تجعله يكره المادة العلمية للمعلم، وربما تدفعهُ لترك التعلم، فيأثم المعلم. فليكن المعلم رحيمًا ودودًا بطلابه.

لقد غفل كثيرٌ من معلمي اليوم عن هذه المعاني القرآنية، والدروس الربانية، ونسي عدد منهم عِظَم

المسؤولية، وجسامة الرسالة؛ ففئة قَسَتْ وزجرت: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وتراخت أُخرى وضيَّعَتْ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، وحسبت ثالثة أن العمل تزجية وقت، فكان ما كان من ضعف وخور، وصار ما صار من شكوى وألم.

إن الأمل في معلِّمي الغد أن يتنبهوا لعِظَم الرسالة، وبهاء المهمّة، وبركة المهنة، فيقتدوا بمنهج السلف في الاحتساب، واستحضار السؤال الربّاني عن هذه العقول الغضّة والنفوس البريئة. انظروا إلى صورة هذه الأم، وتأملوا كيف جعلتها الرحمةُ تحمل طفلها على ظهرها وتنتقل به وهي تعمل في هذا الحقل الشاق، لكنها الرحمة! فما بالك لو أن هذا الطفل انتقل إلى المدرسة من ذلك الحنان، وتلك الرحمة المجبولة عليها الأمهات، فوجد القسوة والفظاظة في المدرسة، لا ريب أنه سوف ينغلق ذهنُه، وتتيبّسُ نفسُه، ويتسمّر فؤادُه، وتخور عزيمته، ولن تسمح خلاياه باستقبال أية

معلومةٍ من ذاك المعلم القاسي الفظ الغليظ؛ لكونه منفّرًا؛ ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾.

إن هذه الصورة تعرض الرحمة والشفقة التي ربطها الحق سبحانه بالتعليم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾، فالرحمة من أهم صفات الأنبياء والرسل وأساليبهم في تعليم أقوامهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وقد أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ وجعله رحمة للعالمين، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ولولا الرحمة لانفضَّ الناس من حوله؛ ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾.

يقول أحمد شوقي عن نبي الرحمة ومعلّم البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ
هَذَانِ فِي الدُّنْيا هُمَا الرُّحَماءُ

وبناءً عليه، فإن الرحمة في أسلوب التعليم قاعدة تربوية مهمة يجب تأصيلها واعتمادها، وبخاصة في المراحل التعليمية المُبكرة. ولهذا تقتضي هذه القاعدة أن يكون معلم الصفوف الأولية أبًا قبل أن يكون معلمًا، فليس كل معلّم يصلُح لهذه المرحلة.

إن هذه القاعدة تستوجب إعداد دراسات ميدانية لتحديد مواصفات ومتطلبات معلّمي الصفوف الأولية.

القاعدة الرابعة: لُغة التعليم

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤].

بَيَّن القرآن الكريم أهمية لغة التعليم التي ينبغي للمعلمين أن يتسموا بها حال تعليمهم، وأنها أساس

التواصل؛ فلا يمكن التواصل بين العقول بلغةٍ غير مفهومة. إن المعلم وهو يُلقي درسه في فَصْلٍ به مجموعة من الطلاب يجب أن تكونَ عباراته واضحة جلية؛ لكي يفهم الطلاب، ولا بد أن تكون لغة التواصل مفهومة بين الطرفين؛ المُلْقِي والمُتَلقّي، بين المُعلّم والمتعلم.

إن من أهم مشكلات التعليم الواجب حَلُّها هي لُغة التواصل بين الطالب وأُستاذه، فأغلب المعلمين يستعملون اللهجات المحلية، وقد تناول القرآن هذه المُشكلة التربوية وجلّاها؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٥]. إن هذه الآيات بَيَّنَت لغة التواصل بين المعلم رسول الله ﷺ وطلابه من الصحابة، إن رسول الله المعلّم الأول قضى طفولته في بني سعد، وفي ذلك دلالة على أهمية لغة الطفولة وضرورة نقاوتها. إن أهل مكة يتحدثون العربية، ولكن مكة تؤمُّها الوفود من أنحاء الجزيرة العربية بلهجاتهم المتنوعة، ولذلك أثره اللغوي؛ ولهذا كان أهل مكة يحرصون على

سلامة لغة أطفالهم، فيرسلونهم إلى البادية حيث الصفاء اللغوي. إن التعليم باللغة الفصحى ضرورة حتمية لتطوير التعليم، ورفع مهارات الطلاب اللغوية، وبالفصحى يتحقق الاستيعاب المعرفي، والفهم السريع للمادة العلمية، وبناء الشخصية، في حين أن اللهجات العامية تجعل الطلاب في حيرة؛ بين فهم الكلمة ودلالتها، وفهم المادة العلمية المعروضة. إن الأطفال اليوم يعانون من أهم عناصر التعليم؛ من اللغة العربية، لغة التواصل، فيتربون بين مربيات وخادمات أجنبيات، يقضون معهن الساعات الطوال، ويتلقون منهن لغاتهن الأعجمية، وكلمات عربية مكسّرة، ويأتون للمدارس بهذه اللغة الهجينة، وتبدأ دراستهم بلغة المعلمين المتعددة اللهجات، فيرتبك الصغار، ويضعف استيعابهم، فوسيلة التواصل بين الفريقين ركيكة، أين هم من العرب الأوائل! وتكون النتيجة رداءة المخرجات التعليمية، فلا شخصيات بُنيت، ولا مهارات معرفية تحقّقت، ولهذا فعلى المعلمين التركيز على اللغة واستعمال الفصحى في تدريسهم.

يقول الزمخشري عند تفسيره قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾: «قد يكون الرجل عارفًا بعدّة لُغات، فإذا كُلِّمَ بلُغته التي لُقِّنَها أولًا ونشأ عليها وتَطَبَّعَ بها لم يكن قلبه إلّا إلى معاني الكلام، يتلقاها بقلبه ولا يكادُ يفْطنُ للألفاظ كيف جَرَتْ، وإن كُلِّمَ بغير تلك اللغة، وإن كان ماهرًا بمعرفتها، كان نظرُه أولًا في ألفاظها ثم في معانيها»[1]. إنها لغة التعليم والتواصل؛ متى ما كانت فصيحةً واضحة كان الاستيعاب أكثر والفهم أسرع.

زارني ذات يوم والدُ طفلٍ يشكو مدرسًا أنه هزِئ بابنه وسخر منه وقال له: اذهب وأحضر والدك وحتى قبيلتك كلها، وبعد التحقيق في الأمر وسؤال المعلم عما ذكره الأب، أجاب بما نصّه: «أخبرني أحد الطلاب بأن والد الطالب «س. القحطاني» شاعر، فقُلتُ له: ما شاء الله! ينبغي أن تكون مُفوّهًا في الحديث، ويكون حفظك للقرآن جيدًا، فقال الطالب: سأشتكي عليك للوكيل، قلتُ له: لماذا؟ قال: لأنك تسبني. قلتُ له: اذهب واشتكِ

(١) الكشاف، الزمخشري، ٤/٤١٥.

للمدير. قال: سأشتكي لأبي. قلتُ له: اشتكِ للعائلة كاملة؛ لأني لم أخطئ، اذهب واشتكِ لقحطان كاملة؛ لأنك ما استوعبت ما قُلتهُ لك. وقال المعلم: إن هذا الكلام على سبيل المزاح، وليس فيه تشدّد ولا مشادّة كلامية، عبارة عن حوار دار بيني وبين الطالب لا أكثر من ذلك، وليس فيه أي أخطاء من أحد».

إن لهذه الواقعة دلالاتٌ تربوية تتلخص في الآتي:

أولًا: كان الواجب على المعلم أن يكون أكثر هدوءًا واتّزانًا، فهو الأب والمربي، ودَفْعُهُ للطالب أن يشتكي خللٌ تربوي. إن في الفصل مجموعة من الطلاب أحسب أن عددًا منهم لم يفهموا معنى الكلمة، والفهم الخاطئ للطالب ترتّب عليه غضب الأسرة بأكملها.

ثانيًا: الاستطرادات العلمية الجانبية تزيد ثراء الطلاب المعرفي، وتمنح المعلم عند طُلابه مكانةً واحترامًا، فتوقُّف الطالب عند هذه الكلمة وفهمه

أنها مَذمّة دلالةٌ على ضعف رصيده اللغوي، وكانت مناسبةً أن يستطرد المعلم ويُورد للطلاب مزيدًا من كلمات الإشادة والثناء للفصيح من الطلاب، وأنه يُوصف بالمُفوّه، وبالبليغ، وبالفحل، وغيرها.

إن كلمة مُفوّه قد تُفهم خطأً، فقد يكون الطالب فهمها بمعنى الفَوَهْ، وهو سعة الفم. ومن ثم فإن المهارة التربوية عند المعلم تتطلب النزول للمراحل العمرية للطلاب والتعامل معهم وفق قدراتهم الذهنية، فالفروق الفردية بين الطلاب تستدعي مثل هذه المواقف، وتتطلب النزول إلى مستوياتهم؛ ففي الأثر: «خاطِب الناس على قدر عقولهم».

روى أحد الخطباء قصةً حدثت له بمسجد فلاحين، خطب فيهم بصعيد مصر، واستشهد بالآية: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال على المنبر: المقصود بـ (الكُفَّار) في

هذه الآية (الزُّرّاع)، ولما نزل من المنبر تهجّم عليه المصلون، وكادوا يقتلونه؛ إذ كيف يصفهم بالكفر وهم يُصلّون! وتبدو مشكلته في أنه خطب في جمعٍ أُمّيين لا يعرفون القراءة والكتابة، ولا يعلمون أن كلمة «كُفَّار» في هذه الآية جمع كافر، والكافر يطلق على الزَّارع لستره البذور بالتراب بناءً على المعنى اللغوي للكفر المرتبط بالتغطية والستر، لا على المعنى الاصطلاحي.

إن المعلم أيًّا كان موقعه؛ في الفصل أو في المنبر أو في أيِّ مناسبة كانت، يلزمُه الاهتمام باللغة، ومخاطبة المُتَلَقِّينَ وفق قُدْراتِهم الذهنيةِ وملكاتهم المعرفية. ولأهمية هذه القاعدة (لغة التعليم)، التي هي دم التعليم وحياته؛ سوف أعرض في الفصل الأخير من هذا الكتاب مزيدًا من الآراء والتجارب حول هذه القاعدة المهمة.

القاعدة الخامسة: علَّم بالقلم

قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥].

إن القلم أداة مهمة في العملية التعليمية، ومن ثم فقد ربط الله -سبحانه- العلم بالقلم، فقال: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾، هكذا قال ربنا سبحانه: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾. إن غياب القلم عن كل درس نقص، فبالقلم يُدوِّن الطالب ما فهمه، ويسجل ما استوعبه، ويزداد تركيزه، ويتحول فهم العقل إلى القيد الخطّي والتدوين الكتابي، فيجمع المتعلم بين حفظ الذاكرة وحفظ القلم.

إن أغلب المُعَلمين يُلقون دروسهم وطلاب الفصل بين شارد الذهن، وآخر يُعابث زميله خُفية، وثالث يُغالبه النعاس، فيسرحون عن مادته العلمية. فلو كان قلم الطالب بيده، ويُدَوِّن ما استوعَبَهُ ووعاهُ أولًا بأول، للَزِم تَنَبّهُ لأستاذه، ومتابعتهُ معلِّمَه لحظةً بلحظة، ولناقش المُعَلِّم وحاوره فيما صَعُب عليه وأشكل.

إن المعلم المُهتدي بهدي القرآن، المُدرك أن كل توجيهٍ رباني له حكمة ودلالة، يعلم أن ربط القلم بالتعليم أساسٌ مهم في العمل التربوي ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾.

إن كثيرًا من المعلمين -للأسف- يُلقون دروسهم دون تنبّه لهذه الوسيلة التربوية المهمة؛ ولهذا فمِن برامج مدارس ابن خلدون التعليمية برنامج (عَلَّمَ بالقلم).

إن الصورة أعلاه تحكي التطبيق العملي كما رأيته في الفصل الدراسي، أثاب اللّه ذاك الأستاذ المشار إليه في الصورة ووفّقه، حين سألتُ الطلاب عن درس الأمس، أسرع الطالب بورقته إليَّ مزهوًّا أنه دَوَّن شرحَ أُستاذه الواقف معي في الصورة، فبعد

أن لخّص ما كتبه بثقة واقتدار ناولني ورقَتَهُ، فسرّني جمالُ خطّه، وحسنُ استيعابه.

إن القلم أساسٌ في العملية التعليمية، لقد ربط الله -سبحانه- العلم بالقلم فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

فالقلم رُكن مُهمٌّ في العملية التعليمية، ولذلك أرى أن غياب القلم عن كل درس نقصٌ وخللٌ تربوي؛ إذ بالقلم يُدوّن الطالبُ ما يفهمُهُ، ويسجّل ما يستوعِبُهُ، ويزداد تركيزه، ويتحول فهم العقل إلى القيد الخطّي والتدوين الكتابي، فيجمعُ المُتَعلِّمُ بين حفظ الذاكرة وحفظ القلم. ولتفعيل هذه القاعدة التربوية المهمة في المدارس يجب على المعلم استعمال المحاسبة الناعمة للطلاب؛ وذلك بأن يختار في الحصة التالية عينة عشوائية من الطلاب، ويستدعي الطالب المُختار عند السبورة، ويطلب منه التحدث لزملائه عما دونه وكتبه في الحصة السابقة، فبهذه المحاسبة الناعمة ندفع الطلاب للاهتمام بالمتابعة، وسؤال المعلم إن لم يفهم

ويستوعب الموضوع، فهو يعلم أنه في الحصة القادمة قد يقف أمام زُملائه للحديث عن المادة العلمية التي استمع إليها ودوّنها، كما أن هذا الشعور سوف يُعَوِّدُ الطلابَ على مراجعة مادة الدرس السابق، وبهذه المحاسبة كذلك نبني شخصية الطالب، فتدريبه وتعويده على الوقوف والحديث أمام زملائه بناءٌ لشخصيته، ومنحه الثقة بنفسه، والانطلاق في الحديث والحوار.

إذن فـ (علَّم بالقلم) تعني إشراك وسائل الاتصال الأربع (المرسِل، والمرسَل إليه، والرسالة، والوسيلة)؛ عِلْمٌ، ومعلِّمٌ، ومُتَعَلِّم، ووسيلةٌ تعليمية؛ سواء أكانت الوسيلة القلم والورقة، أم لوحة المفاتيح والشاشة، أم الطبشورة والسبورة، أم أي وسيلة أخرى، المهم تقييد العلم وصيده.

إذن فالقلم هو كل وسيلة يكتب بها العلم ويُدوَّن.

والمعلم في الفصل يلقي المادة العلمية، فلكي يَربِطَ الطلابَ بِه، ويُركزوا أذهانهم نحوه، ويصغوا

بسمعهم وعقولهم إليه، ولا يسرحوا عن المعلم وتعليمه قبل نسيانه؛ جاءت الإشارة للقلم بعد كلمة التعليم ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾.

لقد تأخر القلم؛ لأن دوره يكون بعد نطق المعلم، وسماع الآذان واستيعاب المادة، ومن ثم تكون الكتابة.

علّم بالقلم هو وسيلة قيد وتسجيل؛ لتدوين العلم وتثبيته بوساطة الكتابة، فهو طائر يفرّ، وقيده بالقلم والورقة.

علّم بالقلم هو تفعيل الذهن وربطه بالمعلم، وقيد ما يفهمه الطالب.

علّم بالقلم هو تلقي العلم بالسماع وإشراك الأصابع والبصر في تدوينه وكتابته.

علّم بالقلم هو هزهزة الذهن وشدّه نحو المعلم، ومن ثم تحويل الفهم الذهني إلى التسجيل الكتابي.

جاء في بعض كتب التفسير أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل عفريتًا عن الكلام، فقال: ريحٌ لا يبقى. قال: فما قيده؟ قال: الكتابة، فالقلم صياد يصيد العلوم... وبحركته تبقى العلوم على مرّ الليالي والأيام[1].

هذا، وإن وسيلة القلم والورقة أدعى للفهم، وأفضل وسائل القيد والتدريس، نشرت جامعة جونز هوبكنز الأمريكية على موقعها دراسة حديثةً بتاريخ ٢٧/ ١١/ ١٤٤٢هـ الموافق ٧/ ٧/ ٢٠٢١م، تُؤكد فاعلية هذا البرنامج؛ إذْ اختار الباحثان اثنين وأربعين دارسًا، وعلموهم الحروف العربية بثلاث طرائق؛ المجموعة الأولى تتعلم بالقلم والورقة، والمجموعة الثانية بلوحة المفاتيح على الحاسب، والمجموعة الثالثة بالفيديو. ثم جمعوا المجموعات الثلاث وأجروا لهم امتحانًا وتقويمًا، واتضح تميّز طلاب المجموعة الأولى ذوي الورقة والقلم من غيرهم.

(١) تفسير الرازي، سورة العلق، الآية: ٤.

وقبل هذا البحث، وفي السياق نفسه، يقول الخبير الأمريكي مِلْ لفين: «الطالبُ بِفضل الكتابة يتعلم كيف يحقّق التناغم بين وظائف الدماغ المختلفة، وهذا أمرٌ لا بد من إتقانه مهما كان نوع العمل الذي سيمارسه لاحقًا. ومن ناحيةٍ أخرى، فإن عملية الكتابة تساعد على إنشاء مسارات الدماغ التي تصل بين الوظائف المتعددة كاللغة والذاكرة والسيطرة الحركية وتحافظ عليها، أي إن الكتابة تتيح للطفل التدرب على السيطرة على نفسه.

والكتابة بمنزلة منصة الانطلاق بالتفكير المنهجي، ووسيلة لحل المشكلات، وهما عنصران ضروريان لأي مهنة. وينص قولٌ مأثور على ما يلي: «كيف لي أن أعرف ما أفكر فيه ما لم أقرأ ما أكتبه؟»، فالكتابة تجبر الطالب على التفكير بصوتٍ عالٍ، والتعبير عن أفكاره بطريقة يستطيع الآخرون فهمها»[1].

(١) أسطورة الكسل، مل ليفين، ص٢٢.

واطلعتُ على تقريرٍ حول مدرسةٍ في ألمانيا اعتمدت إستراتيجية الورقة والقلم ضمن أولوياتها في أسلوب التعليم، فاتخذت السبورة وهي الورقة، والطبشورة وهي القلم، وجعلتهما أساسَ العملية التعليمية للمدرسة، ومحور التعليم فيها، ولم تبادر لوسائل التقنية الحديثة، وتتخذها بديلًا عن الورقة والقلم، ولها العديد من الفروع التي وصلت إلى ألف مدرسة في العالم، منها واحدة في القاهرة؛ إذ يقول التقرير: إن مدارس فالدورف الألمانية تمنع الوسائل الحديثة؛ التابلت، والشاشات، والحاسب، وحتى الآلات الحاسبة. شعارها: «التكنولوجيا يمكنها أن تنتظر»؛ لذا تعتمد المدارس الورقة والقلم، والسبورة والطباشير، فهي وسائل التعليم المثلى، وهي الأساس في برنامجها التعليمي اليومي.

ومن هنا يتضح أن ما نشرته جامعة جونز هوبكنز مؤخرًا، وما نشرته مجلة نيويورك تايمز حول مدارس والدورف، وما جاء في كتاب أسطورة الكسل للمؤلف

الأمريكي مِلْ لِفين، كل هذه الدراسات تتفق وتعضد إستراتيجية مدارس ابن خلدون (علّم بالقلم).

هذا، وسوف يردُ في آخر الكتاب خلاصة ترجمة دراسة جامعة جونز هوبكنز وما نُشر حول مدارس والدورف.

القاعدة السادسة: وُضوح المعلومة وبيانها

قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨].

تَأكُّدُ المعلم من وُضوح المعلومة لطلابه قاعدةٌ مهمة؛ فقدراتهم متفاوتة، وفهمهم مُختلف، فإذا كان الدرس فيه صعوبة ويفوق قُدرات الطلاب الذهنية، فعلى المعلم المزيد من الشرح والتكرار حتى يتأكد من استيعابهم، ويصبر ويحلم.

تُوضح هذه القاعدة التربوية وتُجسّدها قصةُ نبي اللّه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الخضر؛ فقد اشترط المُعلّم

الخضر على الطالب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين رَغِبَ في صحبته للاستفادة من علمه، عدم سؤاله، فالتزم الطالب بذلك: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٦٦-٧٠]. لكن بعد أن رَكِبا السفينة وخرقها الخضر، استعجل الطالب موسى وسأله عن سبب ذلك الخرق، وخالف الشرط المتفق عليه بينهما، نسيانًا منه، فصبر المعلم وقبل عذره، ثم حين قتل الغلام عاد موسى وسأله عن سبب ذلك القتل، وقَبِلَ المُعلم للمرة الثانية عذرَه، وكانت نهاية المشهد ونقطة الافتراق بينهما حين أقام الجدار، فسأله موسى للمرة الثالثة، ولم يترك المعلم الخضرُ الطالبَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُغادرهُ بعد خلافٍ دون أن يوضح له ما حدث وكان يجهله، فقبل المغادرة قال له المعلم: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]. وأخبره بأسباب المواقف الثلاثة؛ فشرح له ووضح، وتأكد أنه فهم لماذا خرق السفينة، ولماذا قتل الغلام، ولماذا بنى الجدار. قال ابن

عاشور في تفسيره: «وفِي هَذا أَصْلٌ مِن أُصُولِ التَّعْليم؛ أَنْ يُنَبِّهَ المُعَلِّمُ المُتَعَلِّمَ بِعَوارِضِ مَوْضُوعاتِ العُلُومِ المُلَقَّنَةِ، لا سِيّما إذا كانَتْ في مُعالَجَتِها مَشَقّة»[1]. وفي سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دروس في التكرار والإيضاح والصبر؛ إذ بقي في مكةَ ثلاثةَ عشَر عامًا يُعلمهم وهم يسخرون منه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، يقرأ عليهم، ويُعلّمهم القرآن والسنة، ويضرب لهم الأمثال في الشرح والإيضاح، ويصبر في سبيل ذلك؛ كي يفهموا ويستوعبوا.

القاعدة السابعة: استحضار الخصوم

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧-٩].

وقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ١-٥].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، سورة الكهف، الآية: ٦٩.

استحضار الخُصُومة، فالبِدارَ البِدار، والوفاء والاجتهاد في أداء الأمانة قبل يوم التقاضي. نستنبط ذلك من تلك الآيات السابقة. وهذه الخصومة تتمثل في الطالب، فسوف يأتي يوم القيامة وينادي: يا رب، أُستاذي تأخر عن الوقت المحدد لدرس ذلك اليوم فطفّف، وغاب عن تلك الحصة فطفّف، وضيّع تلك الساعة فطفّف، ولم يشرح تلك المادة فطفّف، وما استوعبنا في أثناء ذلك الدرس فلم نفهم ذاك الموضوع فطفّف، ولم يَفِ بوقته، وأخل بأداء أمانته. وقد يتقدم اثنان؛ والدُ الطالب ووالدتُه، فيقولان: يا ربُّ، استودعنا ابننا عند هذا المعلّم، فضيّع وقته فطفّف، وما وفَىَ وبخس. وبعدهما يأتي ولي الأمر (السلطان)، فيقول: ربّاه، أمانة الأمة، فوَّضْتُ بها هذا المعلم لحفظها، ففرّط في الوقت والأداء وطفّف وبخَس. ثم ينادي المجتمع كلّه: يا ربُّ، أصابنا جميعًا تخلفٌ وداءٌ، فهذا المعلم كان موضعَ ثقتنا وأملنا لصناعة رجال الوطن، وبناء شبابه، فضيّع وقصّر وطفّف.

إن استحضار هؤلاء الخصوم وغيرهم، وسؤالهم يوم البعث، ذاك اليوم الذي وصفه الله بالعظمة، حريٌّ أن يدفع المعلمين ليستيقظوا ويُدركوا أنفسهم، فيوفّوا كيلهم، ويرعوا أمانتهم، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. قال الطبري في تفسيره: «المطفِّف: المقلِّل حقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمام»[1].

فالتطفيف المراد في القرآن لا يقتصر على التعاملات التجارية في عمليتي البيع والشراء فحسب، بل يمكن أن يمتد ليشمل كل التعاملات الإنسانية الأخرى التي تنظم حقوق الناس وواجباتهم، ويؤول الإخلال بها إلى الخسارة بين طرفيها، ومنها التطفيف في التعليم؛ إذ يستوفي المعلّم كل حقوقه من الدولة أو من الجهة التي يعمل معها، في الوقت الذي يطفّف ويقصّر في أداء واجباته تجاه طلابه؛ ومن ثم تكون خسارة الطالب وأسرته والمجتمع والوطن بأكمله مثل خسارة المشتري التي تصيبه؛ نتيجة التطفيف في المكيال والميزان.

(١) تفسير الطبري، سورة المطففين، الآية ١.

القاعدة الثامنة: العمل الصالح

قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا﴾ [مريم: ٧٦].

اجعَل طُلابك من الباقيات الصالحات، من الأعمال الخالدة، وعُدَّهم أوقافًا لك.

إن بضاعة المعلم هي العلم وبناء العقول، وهذا مجالٌ يتميز به المعلمون؛ فكم من طالبٍ تأثر بأستاذه، وكم من طالبٍ صار أستاذُه قدوتَه، وأصبح الطالب يدعو له كل حين. يقول تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: ٤٦].

فبادِر -أخي المعلم- واعمل ليصبح طُلابك من الباقيات الصالحات. فلو جعل المعلم كل طالبٍ مشروعَ وقفٍ له، وعمل على العناية بهذا الوقف لصارت له أوقاف متعددة ومتنوعة، ولبقي له ريعٌ من الحسنات تأتيه في حياته وبعد مماته. فاغرِس -أخي المعلم- في أوقافك الخير والفضيلة، وهنيئًا لك بهذا الغَرس المبارك.

كثيرٌ منا يتذكر أساتذته بخير ويدعو لهم، وقد صرنا أوقافًا لأولئك الأساتذة الأفاضل؛ نتذكرهم في كل حين، ونُشركهم في دعواتنا.

إي والله، صَنَع أساتذتنا منّا أوقافًا لهم؛ إذ لا تزال كلمات عدد منهم ترنُّ في أذني بعد تلك السنين الطوال، لقَد كُنتُ واحدًا من الأوقاف لأولئك الرجال الربّانيين رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته. وتتفاوت ذاكرتي نحو أُولئك الرجال حسب تأثيرهم؛ فكلما كان تأثير الأستاذ أكثر كانت ذاكرتي له أحضر.

كُن -أخي المعلم- ذاك الحاضر دومًا في ذاكِرةِ طُلابه، فسيكونون أوقافًا خالدة لك.

هذا، وثمة قواعد أُخرى يُمكن استنباطها من كتاب الله تدفَعُ بالمعلمين إلى المزيد من البذل والعطاء، فالقرآن خير دافع.

ثم إن المعلم يحمل العلم والمعرفة، وإدراكه فوق إدراك الطلاب، ولكي يتقبل طلابه علمَه ويقتربوا من

زاده الفكري عليه أن يحلمَ عنهم، ويجعل من الحِلم سجيةً حاضرة معه في كل دروسه ولقاءاته، وأن يزيد من ثرائه المعرفي، فطلابه يتجددون، وتتباين فروقاتهم الذهنية، وتتنوع مواهبهم.

وقد قرأت قصة طريفة تكشف عقلية بعض المعلمين وحُسنَ تصرفهم، فالمعلم سيِّدُ الفصل، ومصير مُستقبل الطلاب بين يديه؛ فكم من مُعلم كرَّه بعض الطلاب بمادّته، وربما دفع بعضهم لترك العلم بسبب قسوته وجفوته أو سخريته. والقصة التي قرأتها تجذبُ الطلاب للتعليم، وكأني بالطالب بطل القصة قد صار له شأنٌ ومجدٌ بسبب حِلم أُستاذه وعِلمِه ورزانته.

تقول القصة: كان المعلم أُسامة يُدرّس مادة البلاغة، وجاءت الامتحانات، ووُزِّعت الأسئلة، وأجاب الطلاب عنها، وتسلّم المعلمُ إجابات الطلاب، وبدأ بالتصحيح، وفي بعض الأحيان كان يجدُ أن بعض الطلاب يترك سؤالًا أو سؤالين بدون إجابة، وهو أمر معتاد، إلا أن ما أثار استغرابه ودهشته ورقة إجابة أحد

الطلاب؛ إذ تركها خالية، ولم يُجب فيها عن أي سؤال، ووضع بدل الإجابة القصيدة الآتية التي نظمها خلال الامتحان؛ إذ يقول فيها:

أستاذُ قُلْ لي ما العمَل ... واليأسُ قد غَلبَ الأمَلْ
قِيلَ امتحانُ بلاغةٍ ... فحسبتُهُ حانَ الأجلْ
وفزعتُ من صوتِ المرا ... قبِ إن تنحنحَ أو سَعَلْ
ويجولُ بينَ صفوفِنا ... ويصولُ صولاتِ البطَل
أأسامةُ مهلًا أخي ... ما كُلُّ مسألةٍ.. تُحَلّ
فمِن البلاغةِ نافعٌ ... ومن البلاغةِ ما قَتَلْ
قد كنتُ أبلدَ طالبٍ ... وأنا وربِّي... لم أزَلْ
فإذا أتتكَ... إجابتي ... فيها السؤالُ بدونِ حَلّ
دعها.. وصحِّحْ غيرَها ... والصفرَ ضعْهُ على عَجَلْ

فما كان من الأستاذ (أسامة) سوى إعطائه درجة النجاح في مادة البلاغة؛ لأن الهدف الذي يسعى لتحقيقه من خلال تدريسه لمادة البلاغة متوفرٌ في هذا الطالب الذي استطاع نظم هذه القصيدة الطريفة والبديعة.

هذا هو المعلم الكَفيُّ الذي نظر إلى المُنتَج؛ فطالبٌ بهذه الغزارة اللفظية، وهذه الملكة الشعرية، تحقق له الهدف من مادة البلاغة وإن لم يُجب عن أسئلة الامتحان الظنيّة. فالتعليم هدفٌ، وليس وسيلة.

وأخيرًا، فإنّ القرآن حافلٌ بالخير الكثير، وإن استشعار هذه الهدايات بقلوبنا، واستحضار الملائكة الكاتبين يرقبون أداءنا لحظةً بلحظة، يسجّلون أعمالنا ليوم الحساب القادم، كل هذا الاستحضار أساسٌ في عمل المعلم، وركنٌ مهمٌّ لتطويرِ مهنته.

إن ذاك المعلم الذي رانت على قلبه الغفلةُ، وحسِبَ أن الدِّينَ فقط في المسجد والمصلَّى، وغفل عن هذه القواعد القرآنية الهادية، ونسي حساب الآخرة، ليس له إلّا الحزم والمحاسبة.

تلك الدول التي حصل طلابها على المراكز المتقدمة، وكُنَّا بينهم في ذيلِ القائمة، كان الحزمُ والنظامُ منهجَهم، ولا مجالَ للعواطف. حين زرنا

اليابان وسنغافورة علمنا أن المدرسة هي التي تُعيّن المعلم وتفصله بناءً على أدائه ونتائج طلابه. حزمٌ مع الطلاب، وحزمٌ مع المعلمين.

هذا، وسوف أعرض بعض المواقف التي حدثت لبعض المعلمين مع طلابهم؛ إذ تكشف تلك الصور مكانة المعلم، وجلال مهنته، واستمرار عطائه.

ويغلب على ظنّي أن القارئ لكتابي هذا يحتفظ ببعض الذكريات العطرة عن معلّميه.

مواقف مع المعلمين

يا ملازم!

قال صاحبي: رأيت مشهدًا في مطار جدَّة بين معلّمٍ وطلابه، شاهدت ذاك المعلم الوقور يقطف ثمار غرسه بعد حينٍ من الزمن، رأيت ذاك المربي كيف أسرع طلابه يُقبّلون جبينه ويتدافعون لخدمته، حتى وددتُ أني ذاك المعلم...

قال: كنت ذات يوم واقفًا في واحدٍ من صفوف الانتظار في مطار الملك عبد العزيز، وبينما الصف يتحرك ببطء إذ بي ألحظ ضابطين أعرف أحدهما، فصرفتُ وجهي عنهما؛ إذ رأيتهما من بُعد بلباسهما الرسمي واقفَيْن، وأحسب أنهما يعملان بالمطار وقد

انتهت ورديتهما، وإذا بشخص أسود اللون، رثّ الملبس، صادف أن كان يقفُ خلفي ينادي على الضابطين بنبرة توجيهٍ وأمر، ويقول: يا ملازم، يا ملازم. وما إن سمع الضابطان صوته، حتى أسرعا إليه يضربان له التحية، ويقبّلان جبينه، ويتذللان له، ويتسابقان لخدمته، وأخرجاه من الصف. ودفعني الفضول ومعرفتي بأحد الضابطين أن أنسحب من الصف وأتبعهم من بُعد، فقد كان لدي متسعٌ من الوقت؛ إذ بقي على رحلتي ثلاث ساعات، وقد رأيت عجبًا؛ تلطفًا وتوددًا، فتساءلت هل هذا الأسمر رثّ اللباس يرأسهما أم ماذا؟! وإذ بي أراهما يأخذانه لأحد المكاتب في المطار، فيجلس بصحبة أحدهما، في حين يأخذ الآخر تذكرة الرجل ويدخل لمكتب الأمن -علمت أنه مكتب رئيس الضابطين، أعلى منهما رتبة- ويهمس في أذنه ويخرج الرئيسُ مسرعًا، ويشاركهما الحفاوة بالرجل الأسمر، وبعد هنيهة عاد الضابطُ المتحرك ومعه بطاقة صعود الطائرة، وأكواب قهوة، وجلس الضباط الثلاثة يتضاحكون مع الرجل الأسمر، ثم قام الضابطان

يصحبهما الضيف الذي ازدريتُ مظهره ولباسه، وتوجهوا إلى المكتب التنفيذي لكبار الشخصيات، فتبعتهم، ودخلوا، فدخلت خلفهم، وجلسوا يتحدثون وإياه بكل أريحية وبساطة، إلى أن نودي باسمه، فقاما وودّعاه بتقبيل جبينه، والسرور يتلألأ في وجهيهما. ولما غادر الضيف، اقتربت وناديت: بندر، بندر. وهو الضابط الذي أعرفه، وأخبرته بمتابعتي للمشهد كله، ورجوته إيضاح الحقيقة، فتبسّم هو وزميله، وجلسنا معًا لأسمع سر الحكاية. قال الضابطان: هذا الأسمر الذي رأيته هو الآن متقاعد، كان مُعلّمًا لنا منذ سنوات عندما كنا طلابًا في كلية الشرطة، ونحسب أن طلاب الكلية جميعهم إذا رأوه يتسابقون للاحتفاء به. هذا الرجل الذي رأيته أسود البشرة أبيض القلب، ملكَ قلوبَ طلابه، أخلص لمهنته وصدق في مشاعره، فأثّر فيهم. مَخْبَرُهُ أبيضُ من الثلج، وواقعُهُ أطيب من العطر، يحترم الطلاب، لكنه يقسو عليهم قسوة الأب، هو المسؤول عن انضباط جميع الطلاب. حازمٌ لكنه عادل، قويٌّ لكنه رحيم، مهيبٌ لكنه محبوب، جزاؤه

للمخالف من الطلاب ساعات جري، أو وقوف ساعات بالميدان، حريصٌ على سلامة ملفّاتنا من تدوين أية نقيصة. يقول لنا ونحن طلاب: سأكون خشنًا مع أجسامكم، وفي ذلك تربية ورياضة، لكن ستتخرجون بأعلى درجات الانضباط والسلوك. ولهذا بقيت مودَّتُه محفورةً في نفوس طلابه، فما إن يرونه في أي مكان حتى يتسابقوا لخدمته.

أخلص هذا المعلم لهم، وكان ربَّانيًا معهم حين كانوا طلابًا، فاحترموه ضُباطًا، وصدق اللّٰهَ في أداء رسالته، واستشعر الأمانة، فوجد في دنياه فيضًا من عطاء اللّٰه ووعده للمُخلصين المُحتسبين.

وقد شكرت وفاء الضابطين، وغبطت ذلك الرجل الذي زرع فحصد، وبتُّ أُحدّث الطلاب والمعلمين بهذا المشهد الذي يجسّد حسن التعامل، وكيف يمتد أثره، ويعرض لوحة وفاء شهدت أحداثها. فبورك أولئك الرجال، وبوركت رسالتهم الربانية.

طبيب يتذكر!

وصورة أخرى من صور الوفاء، ولوحة تحكي قيمة المعلم الرباني، تجلت في قصة قرأتها عن طبيبٍ مصري نبيل، وتصرف رجلٍ استشعر فضل مُعلم الطفولة.

قال الراوي: عاد ضياء من الخارج بعد غياب أكثر من خمسة عشر عامًا قضاها في قاعات العلم، وبين معامل التشريح، ومع المرضى، وعاد إلى وطنه وقد أصبح طبيبًا من كبار استشاريِّي أمراض القلب، وأقامت له جامعته حفل تكريم. وفي الموعد المحدد، امتلأت القاعة بالضيوف، وتدافع الأساتذة والطلاب يشهدون حفل التقدير والتبجيل، وأقبل ذاك الطبيب

الوفي الذي دوّت شهرته وذاع صيته ونال عددًا من الجوائز العالمية، وحين وصل الطبيب إلى القاعة الكبرى استوقفه قُربَ المدخل منظرُ بائع جرائد، رجل كبير في السن، تتسمر عيناه في القادمين علّهم يشترون منه، ودلف الطبيب للقاعة، لكن صورة البائع ظلت تتراوح في ذاكرته، وأخذ يتذكر ويسترجع ملامح ذاك البائع، فصورته محفورة في ذاكرته، ودخل القاعة وسلّم على المرحبين، وبقي سارحًا مع بائع الصحف المسكين، ونسي الاحتفاء والتكريم، وعاد شريط الزمن يمر أمام ناظريه، عارضًا صورة ذاك الرجل المفترش الأرض أمام جرائده، ذاك المسكين الذي لم يأبه له أيٌّ من الحضور، وبقي يتذكر ويتذكر. وعندما نودي على اسمه في فقرة التكريم لتوشيحه بالوشاح، قام من مكانه، ولم يتوجه إلى المنصة، بل أسرع إلى خارج القاعة، فذهِل الجميع، وتبعته النظرات، وجرى خلفه بعض المنظمين وقد ألجمهم الذهول؛ ماذا حدث؟! ولماذا الهروب؟! ووصل الطبيب إلى البائع، وأقامه، وأسرع به إلى القاعة وهو ممسكٌ

به، فخاف البائع، وقال وهو يرتجف: اتركني يا بُنَي ولن أعود لأفرش هنا مرة أخرى. فردَّ عليه الطبيب: واللّه ما حتفرش تاني، هيا تعال معاي. وظل البائع يقاوم بيديه الناحلتين، وبجسمه المرتعش، والطبيب ممسكٌ به بكل قوته، ويقوده إلى القاعة، ثم إلى المسرح. ولاحظ البائع أن الدموع تتقاطر من عيني الدكتور، فمد يده نحو خدّ الطبيب يمسح دموعه ويتساءل: ما لك يا بُنَي لماذا تبكي؟! فلم يرد عليه الطبيب، وصعد به لمنصة الحفل والكل ينظر في دهشة وذهول، ويتساءلون يا ترى ما القصة؟! فوقف الدكتور وأجلس البائع الرثَّ الثياب، الناحل الجسم، على الكرسي المخصص له، وتحدث إليه باكيًا، وقال له: ألم تعرفني يا أستاذ خليل؟ ردّ عليه وقال: واللّه ما عرفتك، العيب على النظر! قال الطبيب بصوت متهدّج: أنا تلميذك ضياء الدين محمد، درّستني في مدرسة حنتوب الابتدائية سنة ١٩٦٦م، فنظر البائع إلى الدكتور، وقام واحتضنه وهو يردد: إي واللّه، كبرت يا ولدي ضياء، فأسرع الطبيب ضياء وأخذ الوشاح من لجنة التكريم، ولفّ به أستاذه خليل،

وقال للحضور: هؤلاء المربّون هم الذين يستحقون التكريم، هؤلاء المعلّمون هم الجديرون بالتبجيل، والله وتالله وبالله ما ضعنا وتخلّفنا إلا بعد إذلالنا لهم، وإضاعة حقوقهم، وعدم احترامهم وتقديرهم بما يليق بمقامهم، وبرسالتهم السامية. وأحسب ذاك الطبيب تقدّم خطوة نحو الحضور، وأنشد على الفور قول شوقي:

قُم للمعَلِّم وفِّه التَّبجيلا
كادَ المعلِّمُ أن يكونَ رسولا
أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ مِن الذي
يبني ويُنشِئُ أنفسًا وعقولا

ووقف الحضور جميعهم يُصفّقون ويهتفون: مرحبًا خليل، مرحبًا ضياء.

وبعد، إن الرفع من شأن المعلم وإعلاء مكانته معروفٌ وفضيلة، وإن امتهان المعلم وازدراء مهنته منكرٌ. رفع هذا الطبيب من مكانة أستاذه خليل، وذاك فضيلةٌ وخير، وأبى ذاك الطبيب أن يرى أُستاذه في

حالة رثّة بالية تنكرها النفوس، فأخذه وجعل الحضور يصفقون له ويرفعون قدره ومقامه. هذا المنهج هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. هو درسٌ لنا جميعًا نحو أساتذتنا، وهي سنّةٌ حسنةٌ بلّغها ذاك الطبيب للحاضرين في ذاك الحفل، وبلّغها كذلك لقرّاء تلك القصة المؤثرة. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سنَّ في الإسلام سنّةً حسنةً فعُمِل بها بعده كُتب له مثلُ أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سنّ سنّةً سيئةً فعُمل بها بعده كُتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيءٌ»[1].

إن لكل معلِّم دَينًا في رقاب طلابه، فعليهم إجلاله وتوقيره، وإذا مضى بهم الزمان وصاروا كهذا الطبيب، أو في أي موقع، ورأوا معلّميهم، فليبادروا إلى خدمتهم، وردّ جميلهم، فذاك معروف يأمرهم به دينهم. وفي الأثر «مَن علّمني حرفًا صرتُ له عبدًا».

(١) صحيح مسلم، (١٠١٧)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مع المعلّم مدحت الإندونيسي

هناك كان اللقاء؛ حيث دارت أحداث تلك القصة في مكان لا تعرف فيه الغادي من الرائح، ولا من هو بجوارك، ولا من هو حولك؛ هذا داعٍ، وذاك باكٍ، وتلك قارئةٌ، والأخرى ساجدة، الجميع مشغولون مبتهلون، تداخلت دعواتهم، وتباينت لغاتهم، وتعدّدت أعراقهم، وتنوعت ألوانهم، معبودُهم واحد؛ يعلمُ حاجتهم، ويعرف سرّهم ونجواهم، الكل مستغرق. هناك كان اللقاء وتلك القصة في أطهر بقاع الأرض، في الصحن الطاهر بالمسجد الحرام على بعد بضعة أمتار من الكعبة الشريفة، وأمام مقام سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان اللقاء بعد صلاة الفجر يوم السبت ١٦/ ٣/ ١٤٤٠هـ، كان يجلس بقربي، أسمع صوته الخافت بلكنة أعجمية،

إلا أنه يتوقف مستغرقًا كل حين، وشعرت بكرسيّه يتحرك نحوي، واقترب شيئًا فشيئًا حتى كاد كرسيه يلامسني، وأدركت أنه يودّ محادثتي، فالتفتُّ نحوه، وإذ هو يسلّم فرددت التحية بأحسن منها؛ ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]، هذا هو أدب القرآن، ونحن مع مائدة القرآن، وفي بيت القرآن، والكل مع القرآن، فتبسّم وقال: أنا أتكلم العربية قليلًا، اسمي مدحت من إندونيسيا، أعمل في العاصمة جاكرتا معلّمًا، جئت إلى هنا للعمرة، وغدًا نذهب إلى المدينة، هل تسمح أن أسألك ثلاثة أسئلة في القرآن.

قلت: تفضّل. فأَشارَ بإصبعه إلى الآية في سورة الكهف: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وقال ردّدتها كثيرًا ولم أفهم، اشرح لي جزاك الله خيرًا. قلت له: هل يمكن أن يكون لإندونيسيا رئيسان في وقتٍ واحد؟ وبعد جهدٍ وتكرار، ضحك وقال: فهمت، فهمت، لا يمكن ذلك، مستحيل. قلت له: الله ربنا -سبحانه- هو المالك للكون كله لا يجوز أن يكون معه إلهٌ آخر، فالحكم كلُّه لله. قال:

فهمت جزاك الله خيرًا. ثم انتقل للآية الأخرى في سورة الكهف: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال: لا أفهم المراد؟ وتوقفت، كيف أشرح له ولغة التواصل بيننا ضعيفة؟ ولكن بعد جُهد وتكرار فهم المعنى. ثم سألني عن سورة براءة: لماذا خلت بدايتها من البسملة؟ وهنا صرتُ في حيرةٍ؛ كيف أشرح له ذلك؟ ووجمَت شفتاي، وتعطّلت لغة الكلام، واغرورقت عيناه بالدموع، وقال: ما أسعدكم! نزل القرآنُ بلغتكم، وأطرقتُ هنيهة؛ فجواب سؤاله طويل، ودموعه هزّت مشاعري، وتعليقاته أثارت أشجاني. إن سُؤاله الأخير يحتاج إلى شرحٍ وبسط، فللعلماء في ترك التسمية في سورة (براءة) عدّةُ أقوال استحضرتها ذاكرتي، لكن كيف أشرح تلك المعلومات لهذا الأعجمي؟ لقد ورد في كتب التفسير مما أستذكره ما يأتي:

القول الأول: أن سبب ترك التسمية أن العرب في الجاهلية من شأنهم إذا كان بينهم وبين قوم عهد وأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابًا، ولم يكتبوا فيه بسملة؛

فلما نزلت سورة (براءة) بنقض العهد الذي كان بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمشركين بعث بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقرأها عليهم في الموسم، ولم يُبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة.

القول الثاني: رواه محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: لمَ لمْ تكتبوا في (براءة) بسم اللّه الرحمن الرحيم؟ فقال: يا بُني، إن (براءة) نزلت بالسيف، وإن بسم اللّه الرحمن الرحيم أمان. وسُئل سُفيان بن عيينة عن هذا، فقال: لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين.

القول الثالث: قالوا: لما كتبوا المصحف في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختلف أصحاب رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال بعضهم: براءة والأنفال سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان، فتُركت بينهما فُرجة؛ لقول من قال إنهما سورتان، وتُركت البسملة؛ لقول من قال هما سورة واحدة. فرضي الفريقان معًا، وثبتت حجتهما في المصحف.

القول الرابع: أن البسملة تُركت لأنها والأنفال كالسورة الواحدة في المقصود؛ لأن الأولى في ذكر العهود، والثانية في رفع العهود، وكانتا تُدعيان القرينتين؛ ولذلك وضعتا في السبع الطوال.

القول الخامس: أن التسمية لم تكتب لأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ما نزل بها في هذه السورة[1].

لقد مرت هذه المعلومات سريعة تلك اللحظات، لكن كيف أُوضح لهذا الأعجمي هذه الأقوال وأنا لا أعرف لغته، فضلًا عن أن معرفته بالعربية ضعيفة؟ ولهذا اكتفيت بشرح القول الذي جاء فيه أنها نزلت من السماء هكذا بدون بسملة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وشكرَ الرجلُ المعلّم، ودعا وقال: سأشرح هذا لطلابي، وسأتحدث معهم عن الحرَم. وغادر، وتبعته نظراتي، واستغرقتُ مُفكرًا بعد رحيله، وتوالت أسئلة تقول: كم هي نعمةٌ عظيمة أن خلقني الله من نطفة عربية مسلمة، وتعلّمت، وصِرْتُ أقرأ القرآن وأتوقف متأملًا متدبرًا. فهل يا ترى قُمت بواجب هذه النعمة؟!

(١) ينظر: تفسير القرطبي، سورة التوبة.

فهذا معلّم يتزوّد بالعلم، ويعدُ أنه سيشرح ذلك لطلابه، فهنيئًا له؛ استشعر الأمانة، وأحسبه من زمرة المعلمين الربّانيين.

وتذكرت آيات في القرآن الكريم تحدد مسؤوليتنا أهل العربية؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، فهل قمنا يا ترى بواجب تبليغ القرآن وشرحه للأعاجم؟

إن في القرآن العلاج والشفاء، ولكنا نغفل عن تدبره، وهؤلاء الأعاجم يعانون صعوبة فهمه، ونحن أهل العربية نفهم ونستوعب، ومن ثم فمسؤولية المعلم منا أكبر، فهلا نكون ربانيين فننال الأجر.

حينما أقرأ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، أتساءل: جعل الله -سبحانه- رسالته الأخيرة واستودعها عند العرب! اختار منهم خيرهم محمد بن عبد الله ﷺ، ونحن العرب أتباعه؛ نفهم القرآن، ونقرأ سيرته وسيرة الصحابة والتابعين، فهل قُمنا بحمل الرسالة وتبليغها وأداء واجبها كما فعل السلف؟ ونقرأ

قولــه تعالــى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]. فهل دعونا إلى الله كأجدادنا الأوائل؟ إن الصحابــة والتابعين امتطوا ظهــور الإبل، وانطلقوا في أرض الله يبلّغون وينشرون دين الله، ويؤدون الأمانة التي شرُفوا بحملها، انطلقوا على جمالهم، ولم تمنعهم حواجز اللغات، ولا مشــقة الأسفار ذلك الوقت، فكيف بنا نحن اليوم وقد تعلمنا اللغات، وتوفرت وسائل النقل، وصار التواصل والاتصال بالشعوب متيسرًا؟ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧].

هذا هو المعلّم مدحت الإندونيسي! أمثاله كثيرون!

اللغة وهوية الأمة

أشرتُ في القاعدة القرآنية الرابعة إلى موضوع لغة التعليم، وأهمية التمكن من اللغة ليسهل استيعاب المعارف، وتتحقق الثقة بالنفس، وتتوفر العزة الذاتية؛ فمن لا عزّة في نفسه لدينه ولغته يجلّله الهوان ويُصيبه الخمول ويتلقّى العلوم وهو في حالة نفسية مُنكسرة.

ولهذا ما دعا رُسلُ الله أقوامَهم بغير لغتهم الأُم، وبعث اللّه رسله هداة معلمين. ولأهمية اللغة فقد سأل نبيُّ اللّه موسى ربَّهُ أن يُرسل معه أخاه هارون، فلغته قوية: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٤ - ٣٥].

إن اللغة هي هوية الأمة، ومصدر عزتها، وهي الأساس في بناء الأمم ونهضتها.

وقد يقول قائل: وما علاقة هذا الفصل بتطوير التعليم؟ وجوابي أن المعلمَ مهما أخلصَ وتحلّى بالقواعد القرآنية التي ذكرتُها فإن لغة التعليم هي دم حياة عُلومه، ومادة إيصال المعرفة، فمهما التزم المعلمُ وأخلص، وكان في ذروة الربانية، فإن اللغة وسيلة التواصل والبلاغ، وهي الجاذبة للطلاب إليه، فإن فهموا واستوعبوا زاد ارتباطهم به، وإن كانت لغة المعلمُ ركيكة، أو عَلَّمَ بلغة أجنبية، ضعُفَت الرابطة الروحية بين المعلم وطلابه، وقلّت جاذبيته، ووَهَنَ تأثيره.

هذا، وقد تنبّهت الأمم لأهمية اللغة والعزة بها.

نشر أليعازر بن يهودا، في أبريل ١٨٧٩م، مقالًا أكَّد فيه أنَّ نهضة اليهود ستكون في فلسطين، وأن البداية والأساس سيكون بتبني اللغة العبرية في جميع مجالات

الحياة اليهودية، وبدأ بنفسه؛ فهاجرَ عام ١٨٨١م إلى القدس بصحبة زوجته، وعاش فيها حتى آخر حياته، وتوفي في القدس عام ١٩٢٢م. ومنذ وصوله إلى القدس أصرَّ على التكلم بالعبرية فقط في بيته، وطالب زوجته بألا يسمع أطفالهما غير العبرية، وحاول أن يقنع العائلات الأخرى بذلك، وأسَّس جمعيات تهتم بالعبرية، وبدأ عام ١٨٨٤م بنشر الصحيفة اليومية العبرية الأولى في فلسطين (هتسيفى)، ودرَّس اللغة العبرية في المدارس. وبعد سنواتٍ من الجهود المستمرة، ذكرت زوجته أنها بعد عقدين من الزمن صنعت كعكة للأسرة العاشرة التي وافقت على التحدث بالعبرية فقط.

فردٌ واحدٌ استطاع مع الزمن أن يؤثر، ولهذا يُعدُّ هذا الرجل اليهودي الصهيوني هو مُحيي اللغة العبرية. وفي عام ١٨٩٥م تجمع كل المعلمين العبريين في فلسطين، وكان عددهم حوالي ثلاثة عشر معلمًا، فغيّروا وجه التاريخ؛ مُعلّمٌ واحد، ثم ثلاثة عشر معلمًا هم صُنّاع دولة الكيان الإسرائيلي. المعلّم وإخلاصه يبني الأمم!

جرى تأسيس اتحاد مدرّسي اللغة العبرية في عام ١٩٠٣م، واعتمد التجمع الصهيوني العالمي اللغة العبرية لغةً رسمية لليهود، وأجمعوا على أن التحدث باللغة العبرية بمنزلة القوة الدافعة لوجود شعب قومي يهودي في (فلسطين)، وتأسَّست تل أبيب أول مدينة عبرية في عام ١٩٠٩م، واستُخدِمت العبرية بشكل واسع في مقاهيها وشوارعها، وأُجبِر المهاجرون الجدد على التحدث بالعبرية؛ حيث قُوبل الحديث بلغة أخرى في أي مكانٍ عمومي بالرفض. وكانت جميع إشارات الطرق والإعلانات العامة مكتوبة بالعبرية، وكان كل من يتحدث غير العبرية في الشارع يُنَبَّه بهذه العبارة: «تحدث بالعبرية يا يهودي».

وبلغ تطوير العبرية ذروته سنة ١٩١٣م، عندما وقعت حادثة ما يُدعى بحرب اللغات؛ إذ رغبت شركةٌ ألمانية في ذلك الوقت في مُساعدة اليهود الألمان، بتأسيس (معهد للتَّعليمِ العالي للتقنية)، وأصرّت على أن تكون لغة التدريس فيه هي الألمانية، وتحرك

اليشوفُ[1] ضدَّ هذه الفكرة، ونجحوا في نهاية الأمر في إقناع هذه الشركة؛ أن تكون لغة الدراسة هي العبرية لا الألمانية، وأن يكون اسمه بالعبرية «تخنيون»، ومن شروط القبول فيه اليوم الحصول على علامة ٨٦٪ في امتحان معرفة اللغة العبرية، وصار من أقوى الجامعات في الكيان المحتل لأرض فلسطين الحبيبة.

لقد نجح اليهود الصهاينة في النهاية، وجعلوا من لغتهم الميتة اليوم في فلسطين المحتلة لغة العلم والحياة، لغة المال والأعمال. لقد اعتزَّ القوم بهويتهم اليهودية، وجعلوا اللغة أساس قيام دولتهم (سكان الاحتلال القليلون يتألفون من نحو سبعين جنسية مختلفة)، وجمعتهم اللغة العبرية. وحافظت الدول الغربية على لغاتها، وعَلَّمَت بلغاتها؛ فكل دولةٍ تعتز بلغتها (فرنسا/ إيطاليا/ ألمانيا/ بريطانيا/ الصين/ اليابان). ولئن زعمت تلك الدول علمانيتها، فللكنيسة ولِلغة حضورها في شؤونهم. اعتزّوا

(١) اليشوف: كلمة عبرية تعني التوطن أو السكن، وهي تشير إلى الجماعات اليهودية التي تستوطن فلسطين لأغراض دينية.

بهوياتهم ولغاتهم، وجعلوا من لغاتهم المتعددة لغة العلم والحياة. وكل الأمم تعتز بلغاتها وهوياتها؛ فللبوذيين هويتهم البوذية ولغاتهم، وفي الهند معابدهم وكَهَنَتُهم ووسائلهم لغرسها في نفوس ناشئتهم. سافر ستيف جوبز، مؤسس شركة أبل الشهيرة، إلى الهند في مطلع شبابه، ثم عاد إلى أمريكا وهو يرتدي جلبابًا هنديًا؛ حيث كان قد اعتنق البوذية هناك، وظلَّ نباتيًّا طوال حياته. وعندما كانوا يهنئونه برسائل إلكترونية بعيد الميلاد كان ردُّه: «أنا بوذي، أنا لا تهمني تهنئتكم، أنا لا أبارك بعيد الكريسماس، ليس لي علاقة بهذه الديانة، أنا بوذي أعتزّ بهويتي البوذية».

وللكونفوشية طُقوسها، ونرى الصين تنشر ثقافتها وتذودُ عنها، وتُعزز من مكانتها دون تردد، وتعتز بلغتها (الماندرين)، وتجعلها لغة العلم والحياة. وذلكم الرئيس لي كوان يو رئيس وزراء سنغافورة الأسبق، يذكر في كتابه «التحول من العالم الثالث إلى الأول» أنه حرص على تعليم أبنائه اللغة الصينية «الماندرين»، ويقول:

«الاعتماد على الإنكليزية كلغة وحيدة سيعتبر نكسةً إلى الوراء، كنا سنخسر هويتنا الثقافية وتلك الثقة الهادئة بالنفس وبمكاننا تحت الشمس، من جهةٍ أخرى لم نكن لنقدر على إقناع شعبنا بالتخلي عن لغته الأم»[1]. ويقول: «استهدفت جمهورية الصين الشعبية زيادة ولاء الصينيين المقيمين فيما وراء البحار لبكين. في عام ١٩٤٩م، شكَّلت الصين هيئة شؤون الصينيين في الخارج، وبدأت بثّ برامج إذاعية لهم، كما دعَمَت التعليم باللغة الصينية في الخارج، وشجّعت الصينيين في البحار الجنوبية على إرسال أبنائهم إلى الوطن لتلقي التعليم هناك»[2].

ونجد أن اليابان تنحو المنحى نفسه، إذ كُنّا في زيارة لجامعة هيروشيما عام ١٤١٨هـ، عندما كنتُ مسؤولًا في وزارة التعليم، وفي اجتماعنا بمدير الجامعة آنذاك تحدثنا إليه بالإنجليزية فما أجاب، وظَنَنَّا أنه لا يجيد اللغة الإنجليزية، فتحدث المترجم بيننا وبينه، ولكن

(١) التحول من العالم الثالث إلى الأول، ص٢٠٧.

(٢) التحول من العالم الثالث إلى الأول، ص٢٠٧.

بعد انتهاء الجلسة إذا به في المقهى يتكلم الإنجليزية بطلاقة، ولكنها العِزَّة بالهوية واللغة، وعَلِمنا منه أن جميع كليات الجامعة تعتمد اللغة اليابانية بوصفها لغة التعليم فيها. أُممٌ تعتزُّ بهويتها ولغاتها.

يروي إدمون ديمولان الفرنسي في كتابه (سر تقدم الإنكليز السكسونيين) أن «إمبراطور ألمانيا في ذلك الوقت خطَب عن التعليم، وقال بالنص في خطابه: «يجب أن تكون اللغة الألمانية هي الأساس لجميع أنواع التعليم، ومتى نجح التلامذة في امتحانها التحريري، كان ذلك دليلًا على ذكائهم ومقدار استعدادهم، أما تعلم اللغة اللاتينية فإنه يضيع علينا من الوقت ما نحن محتاجون إليه في تعليم اللغة الألمانية»[1]. وقال ذلك الإمبراطور: «إني أريد أن يعرف الألمانيون تاريخ بلدنا وخططها وقصصها معرفةً حقيقيةً؛ إذ يجب علينا أن نبتدئ بمعرفة الدار التي نسكنها»[2].

(١) سر تقدم الإنجليز السكسونيين، ص٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص٦٣.

وانطوَت مرحلة ذلك الإمبراطور، والآن كيف حال تلك الأمة الألمانية التي اعتزت بلغتها وجعلتها أساس تعليمها؟ سادت صناعتها، وتألق اقتصادها، وأصبحت في مصافِّ الدول المتقدمة. تلك الأمة التي هي الأقرب إلى اللغة الإنجليزية من الأمة العربية، أمة الفصاحة والبيان.

وبعد، فكيف تمَسُّكُ العرب بلغتهم واعتزازهم بها، وبخاصة نحن في المملكة؟ تقول المادة الأولى من النظام الأساسي للحكم: «المملكة العربية السعودية، دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولغتها هي اللغة العربية، وعاصمتها مدينة الرياض».

لقد اختار الله عَزَّوَجَلَّ أن تكون بلادنا مهبط الوحي، وأن تكون معجزته الخالدة بلُغَتنا العربية الزاهية، فنالت بلادنا شرف حمل الرسالة وما تزال، وما دام أن لغتنا هي وعاء القرآن الكريم والسُّنة المُشرفة، وهي جزءٌ من هويتنا، فدعونا نتأمل واقعنا اليوم مع هويتنا

ولغتنا! فهل يا ترى نَعِي ذلك؟! أَوَنستشعر الواجب؟! أم أن الانبهار بالحضارة الغربية قد طغى وبغى، فضَعُف اعتزازنا بهويتنا، وانتقصنا لغتنا، فنَحّاها البعض عن التعليم؟

نرى اليوم -للأسف- سرعة تزايد أعداد الطلاب والطالبات في المدارس ذات المنهج الأجنبي في المملكة، وفي كُلِّ الدول العربية، وأصبحت تلك المدارس للنُّخب من ذوي الوجاهة والسُّلطة والمال، جيل قادة المستقبل، وصِرنا -ويا للأسف- نبحث عن التعليم بلغة الأمم الغالبة، وبمناهج وكتب تلك الأمم.

إن المدارس الأجنبية التي انتشرت في بلاد العرب والمسلمين تُضعِف ثقافة الدارسين وهويتهم العربية والإسلامية، فالكتب التي يدرسونها لم تُؤلَّف للعرب والمسلمين، وإنما كُتِبت لغير المسلمين، للنصراني واليهودي والملحد، وانضم لهم في دراستها الطالب المسلم. إن الطلاب والطالبات يُمضُون الساعات الدراسية يوميًّا مع تلك الكتب التي تُعلّمهم ثقافة الغرب

وحضارته. اطّلعتُ على تقريرٍ عن بعض تلك الكُتب، فوجدتُ فيها صفحاتٍ مُصورة من الإنجيل مطلوبٌ من الطُلاب والطالبات استيعابها، ورأيتُ موضوعات عن أهمية اتخاذ الصديق والصديقة، وعن السحر الأبيض والسحر الأسود، وعن اليانصيب، وعن الموسيقى والرقص، وعن يسوع الإله. إن الطلاب والطالبات يقرؤون مادةً علمية، ويجب عليهم فهمها كي ينجحوا في الاختبارات. ويعيشون صراعًا نفسيًّا خفيًّا بين معرفة اللغة ذاتها، وفهم المادة العلمية ذات المضامين الغربية المتعارضة مع خلفيتهم المعرفية وقِيمهم الإسلامية، وينتهي أمرهم إلى أن يكونوا كالمُنبتِّ؛ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى.

أسأل ربي ألا نكون ممن أداروا ظهورهم لهويتهم ولغتهم ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

اطّلعتُ على كتاب بعنوان «السلاطين الخمسة» لمؤلفةٍ أمريكية قَدِمت إلى تركيا عام ١٨٧١م، وظلَّت

هنـاك ٤٥ سـنة تعمـل بمدرسـةٍ أمريكيـة، وتفتخـر أن طالبـات المدرسـة مـن النُّخب التركيـة ذلـك الوقت كنَّ محظوظات؛ إذ تقول: «كانت مدرستنا معملًا لتخريج الزوجـات الصالحـات للأتـراك المثقفيـن، فكانـت الطالبة لا تغادر المدرسة حتى يكون قد تنافس الأزواج عليهـا، وكانـت لغـة التدريس اللغـة الإنجليزيـة، وسـاعةٌ واحـدة للغـة التركيـة». فخالـدة أديب، ابنـة الوزير الأول للخليفـة العثمانـي التـي دَرَسَتْ لديهـم، تزوجت الدكتور عدنـان بـك، السـاعد الأيمـن لمصطفى كمـال أتاتورك، وأصبحـت مـن القيـادات التـي انتهت بتركيا إلى سـقوط سـلاطينها، وإلـى العلمانيـة المتوحشـة. وتذكـر المؤلفـة أن هنـاك مدرسـة أخـرى فرنسـية تبناهـا السـلطان عبد العزيز، وكانت سياسة فرنسا في ذلك الوقت نشر اللغـة والثقافـة الفرنسـية.

إن اللغـة العربيـة تتعرضُ لحـربٍ ناعمـةٍ خَفيّـة، يجهل كثيرُون أبعادها وأخطارها، ولو استعرضنا بعض الآيات الكريمة لعَلِمنا عظمة اللغة التي يَزدريها البعض،

وكيف شرَّفها الله؛ فقد اختصَّها الله -سبحانه- من بين اللغات لتكون لغة المعجزة الخالدة، نزلت من رب العالمين، وبوساطة خير الملائكة الروح الأمين، على خير البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بلسانٍ عربيٍ مبين، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. يقول أبو منصور الثعالبي: «من أحبَّ الله أحبَّ رسوله، ومن أحبَّ رسوله أحبَّ القرآن، ومن أحبَّ القرآن أحبَّ العربية».

لقد حفظ الله اللغة العربية بحفظه لكتابه العزيز، وفي هذا السياق، يُحدثُني مدير معهد الراية في إندونيسيا والفلبين، أن الطلاب هناك يُقبلون على تعلم العربية، وأنهم ينقطعون عن العالم الخارجي، وخلال ستة شهور يتحدث الطلاب والطالبات العربية بطلاقة، ومدة الدراسة بالمعهد سنتان، وبعد السنتين يلتحقُ كثير منهم بالجامعات المتنوعة؛ طب، وهندسة، وشريعة، وغيرها. المهم أنهم خلال السنتين يتخرجون وقد

حفظوا القرآن كاملًا، وعلى المنابر يخطبون بالعربية بكل طلاقةٍ وجرأة. أسفي! الأعاجم يُقبِلون على العربية، وأهلها يزهدون! في حفل افتتاح فرع البنك الصناعي والتجاري الصيني بالرياض، ألقى السعودي كلمته بالإنجليزية، وبعده ألقى الصيني كلمته بالعربية.

في الرياض وجدّة والخُبر وغيرها من مدن المملكة شركات ومؤسسات وفنادق لغة العمل لديهم الإنجليزية، بل إن تذاكر الخطوط السعودية بين مدن المملكة مكتوبة بالإنجليزية. إن هذه الإجراءات تُجبر السعودي أن يتعلم اللغة الإنجليزية لكي يجد عملًا في وطنه مهد العروبة والإسلام، ولو كانت اللغة العربية هي المعتمدة في كل الأعمال لتحققت سَعودة كثير من الأعمال.

لغتنا الخالدة شرّفها الله أن تكون لغة القرآن، وذلك التشريف الرباني ضَمنَ ويضمنُ لها العزة والخلود، والإبداع والنجاح في كل العلوم، فكيف يزهد فيها أبناؤها، ويتباهون بإجادة غيرها، ويَنشدون تعليمًا بلغةٍ أخرى؟ عجبي!

إن المعلِّم السعودي حين يرى مكانة المعلّم الغربي (النيتف) وما يناله من تكريم مالي ومعنوي، تنكسر نفسيته، وتهتزّ ثقته بنفسه، وينعكس هذا على أدائه، وهذا ما دعاني لإقحام موضوع التعليم باللغة الأجنبية ضمن هذا الكتاب الخاص برفع كفاءة المعلم في وطننا الغالي.

حين كان العرب والمسلمون سادة الدنيا في الشرق والغرب، كان للهويةِ الإسلامية والعربية عِزُّها ومهابَتُها في عصورٍ متتالية من تاريخنا الإسلامي المجيد. يقول الشيخ محمود شاكر: «في أقل من ثمانين سنة، تقوَّض فجأة سُلطان المسيحية على هذه الرقعة الواسعة المتراحبة، وزال زوالًا سهلًا، وتقوَّض أيضًا سُلطانها على نفوس الجماهير الغفيرة من رعاياها، ودخلوا دخولًا سهلًا يسيرًا في الإسلام طوعًا بلا إكراه، بل أعجب من ذلك؛ صاروا هُم جند الإسلام وحُماة ثُغوره وعواصمه، وقارعوا النصرانية وحصروها في الشمال الأوروبي، بل أعجبُ من ذلك أيضًا، أن دخلوا في

العربية دخولًا غريبًا، وصار لسانهم لسانها، بل أعجب من ذلك أيضًا، أن خرج من أصلابهم كثرةٌ كاثرةٌ من العلماء الكبار الذين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وبالعلم وبالسيف، وصارت دار الإسلام كلها ديار ثقافةٍ وعلمٍ وخُلُقٍ وحضارةٍ تبهر الأنظار والعقول»[1]. ويقول الشيخ كذلك: «وانتبه بعض الرهبان والملوك وعقلاء الرجال... فكان بيِّنًا لعقلائهم أن سِرَّ قوة الحضارة الإسلامية هو العلم، علم الدنيا وعلم الآخرة؛ فعلم الآخرة وهو الدين، مُقنع لجماهير البشر، فَهُم يدخلونه طوعًا واختيارًا. وعلم الدنيا كما رأوا هو الذي مكَّن لهذه الحضارة الإسلامية أن تمتلك هذه القوة الهائلة المتماسكة التي شعروا أنها مُستعصيةٌ على الاختراق، وهذه الأُبّهة الهائلة التي تعيش فيها دار الإسلام»[2]. ويُؤكد شاكر رأيه فيقول: «اعلم أن لسان العرب كان له السيادة المطلقة على العالم قرونًا قبل ذلك طوالًا، وكانت المسيحية الشمالية مجاورةً لهذا

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، ص٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص٣٩.

السُّلطان المُطلق، ومُصارعةً لأهله صراعًا طويلًا تارةً، ومخالِطةً لهم بالتجارة والرحلة وغيرهما زمنًا طويلًا تارةً أخرى؛ ولذلك كان هذا اللسان العربي معروفًا معرفةً جيدةً لطوائف من العامة والخاصة في ديار بيزنطة من ناحية، وفي قلب أوروبا نفسها لمجاورتها الأندلس»[1].

ذلك هو ما كان، ولكن دار الزمان ومضت الأيام، وشالت كفة الميزان أُمة ووضعت أخرى، فدبَّ الضعف في الأمة العربية الإسلامية، وصار الغزو الناعم للهوية واللغة، وبِتْنا نجهلُ أهمية لغتنا الخالدة، بل صِرنا نجهل الكثير من مفردات القرآن الكريم ومعانيه ونَتلوهُ دون فهم فضلًا عن التدبر والتفكر، نقرؤه ولا تستوقفنا معانيه ولا دلالاته.

وبعد، فأجدادنا الأوائل اعتزُّوا بالهوية الإسلامية وباللغة فأعزَّهم الله وسادوا الدنيا، والويلُ لمن فقد

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، ص٤٧.

هويتـه وأعرضـ عن لغتـه. ونصيحتي لـكل أبٍ وأمٍّ أن يهتمـا بلغـة طفلهمـا مبكـرًا، وأن يركـزا علـى غزارة أولادهـم اللغويـة، ولا يعنـي ذلـك الجهـل باللغـات الأخـرى، بـل يجـب معرفتهـا والتمكن منهـا، بخاصة اللغـة الإنجليزيـة، لغة العالـم اليوم؛ فهي لغـة الدنيا والمـال والتواصل، ولغـة العلم التطبيقـي والصناعة، ولغة السـياحة والإعلام، لكن التعليم ليسـ هو التمكن من إجادة اللغة الأجنبية فحسب، فكم من عمالٍ وخدمٍ يتحدثـون اللغـة الإنجليزيـة، ولكنهـم محـدودو العلم والثقافـة، فكانوا عُمـالًا وخدمًا.

إن التعليم ليس معرفة اللغة فحسب، إنما هو بناء الشخصية وتزويدها بالمهارات الأساسية المعرفية، أما اللغة فوسيلة، وشتّان بين الوسيلة والغاية، وفرقٌ بين استيعاب المادة العلمية ومعرفة اللغة الثانية. فرقٌ بين تعلم اللغة وإجادتها، وبين التَّعَلُم ذاته باللغة الأُم. إن العربية ليست عاجزةً عن احتواء علوم العصر، فهي لغةٌ شرّفها اللّه بحفظه.

لغتنا الخالدة- كما يقول أستاذي الدكتور عبد الرحمن الباشا رَحِمَهُ ٱللَّهُ- «امتدت منذ النابغة في الجاهلية إلى شوقي في العصر الحديث، والتي يستطيع الملايين من أبنائنا في العصر الحاضر تلاوة القرآن الكريم وقراءة الحديث الشريف، وأن يفقهوا معانيهما، وأن يدركوا هَديَهُما، وأن يستشعروا عظمتهما....

وأن يقف هؤلاء الأبناء على الآثار التي خَلَّفَها زُهير بن أبي سُلمى في الجاهلية، وعليُّ بن أبي طالب في صدر الإسلام، وعبد الحميد الكاتب زمن بني أُمية، والشاعر أبو تمام والمتنبي في عصر بني العباس، ومن إليهم من أمراء البيان...

وأن ينتفعوا مما في هذه الآثار من موعظةٍ وحكمة، وأن يَتَذَوقوا ما حَفِلت به من فنٍّ وجمال، وأن يعيشوا التجارب التي مَرَّت بأسلافهم العظام، وأن يَحيَوا معهم بعواطفهم ومشاعرهم وعقولهم...

وأن يجعلوا من ذلك كله مراكز التقاء يجتمعون عندها، ويتعارفون على صعيدها... بينما لا يستطيع

سوادُ الشباب المثقفين من الإنكليز مثلًا قراءة ما كَتَبَه شكسبير منذ ثلاثة قرون إلا بمشقةٍ وعُسر. أما ما كُتب قبل شكسبير فقد استحال عليهم فَهمه، وحال دونهم ودونه ذلك التطور الذي يدعوننا إليه، ويَحُضُّوننا على الأخذ به»[1].

تلك هي لُغتنا الخالدة أساس التعليم ودمُ حياته، فلنحذر الحيدَة بأولادنا عن نهرها الجاري ومائها العذب.

(١) العدوان على العربية عدوان على الإسلام، عبد الرحمن رأفت الباشا، ص١٣٣.

القلم والورقة

(وجامعة هوبكنز ومدارس والدورف)

تناولت القاعدة الخامسة الورقة والقلم. وهنا سوف أُشير إلى دراسة نشرتها جامعة جونز هوبنكز، كما أُنَبِّهُ لمنهج مدارس والدورف حول اعتماد الورقة والقلم إستراتيجيةً أساسية في عملية التعلم.

ولأهمية هذه القاعدة وأثرها في نجاح العملية التعليمية؛ نفَّذَت شركةُ ابن خلدون التعليمية بالرياض إستراتيجية (علّم بالقلم) في مدارسها منذ سنوات، وَعَدّتها رُكنًا مهمًّا في العملية التعليمية، فدرّبت المدرسين عليها، ووجّهت المشرفين وإدارات المدارس لمتابعة تطبيقها داخل الفصول وفي أثناء الحصص

الدراسية، وجاءت فكرة البرنامج استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥].

والبرنامج يربط الطلاب بأستاذهم، ويدرّبهم على التركيز واستيعاب المادة العلمية، ومن ثمّ كتابة خلاصة الموضوع، ويسهم البرنامج في بناء شخصية الطالب بتفعيل المحاسبة والمساءلة الناعمة، ففي الحصة الدراسية التالية يختار المعلم عيّنات عشوائية من الطلاب للوقوف أمام زملائهم عند السبورة؛ ليعرض الطالب ما دوَّنه وما فهمه من الحصة السابقة التي كتب بالقلم ما استوعبه فيها، وبهذا يكون البرنامج دافعًا للطلاب للتركيز والاستيعاب وبناء الشخصية، وتتابع شركة ابن خلدون التطبيق اليومي في الفصول الدراسية منذ سنوات.

وفي هذا السياق، ظهرت دراسة حديثة تؤكد فاعلية هذا البرنامج؛ إذ أعلنت جامعة جونز هوبكنز نتائج دراسة حديثة حول هذا الموضوع بتاريخ ٢٠٢١/٧/٧م،

وخلاصة الدراسة تقول: إنه وعلى الرغم من توافر أجهزة الحاسب والأجهزة الذكية في عصرنا الحالي ودخولها في مجال التعليم بشكل كبير، فإن الكتابة بخط اليد تُسهم في تعلم المهارات على نحو أكثر فاعليةً مقارنةً بالطباعة على لوحة المفاتيح أو مشاهدة مقاطع الفيديو، فعلى الرغم من أن سهولة استخدام أجهزة الحاسب تطغى على الكتابة اليدوية على نحو متزايد، أثبتت الدراسة الجديدة أنه يجب عدم التسرع في التخلّص من الورقة والقلم، وأظهرت هذه الدراسة أن الكتابة بخط اليد لها فوائد كبيرة في تعلم القراءة، والتهجئة والفهم.

وقد أُجريت الدراسة على يدِ كُلٍّ من أُسْتَاذة العلوم المعرفية بجامعة جونز هوبكنز بريندا راب، وطالبِ دكتوراه سابق في جامعة جونز هوبكنز اسمه روبرت وايلي، ويعمل حاليًّا أُستاذًا في جامعة نورث كارولينا في أثناء إجراء الدراسة؛ إذ جرى تعليم ٤٢ شخصًا الحروف الأبجدية العربية، وكان الهدف هو إخضاع

الأشخاص لتعلم لغةٍ جديدة مختلفة تمامًا عما تعلموه، واختار فريق البحث اللغة العربية لأنها جديدة على الدارسين؛ لا يعرفون حروفها ولا أشكالها ولا أصواتها؛ إذ رغبوا أن يكون الاختبار في شيء جديد لا يعرفه الدارسون، فكانت حروف اللغة العربية هي الجديد، وقُسِّمت عينة الدراسة المختارة إلى ثلاث مجموعات من المتعلمين كالآتي:

١. المجموعة الأولى: يتعلّمون الحروف الأبجدية عن طريق كتابتها بخط اليد واستعمال القلم والورقة.

٢. المجموعة الثانية: يتعلمون الحروف الأبجدية عن طريق كتابتها على الحاسب باستعمال لوحة المفاتيح العربية.

٣. المجموعة الثالثة: يتعلمون الحروف الأبجدية عن طريق مشاهدة فيديوهات تعليمية بالأجهزة الذكية.

بدأت المجموعات الثلاث التعلم وفق إستراتيجية كل مجموعة، وكانت آلية التعلم تعتمد على عرض مقطع فيديو للمجموعات يُظهر اسم كل حرف وآلية كتابته ونطقه، وبعدها يُطلب من كل مجموعة محاكاة ما عُرض عليهم وفق طريقة التعلم المطلوبة منهم. بعد ستّ جلسات تَعلُّم مع المجموعات الثلاث يُفترض من المتعلمين إتمام تعلم الحروف الأبجدية، وعند إخضاعهم للاختبار أظهرت المجموعة الأولى التي اعتمدت على «الكتابة بخط اليد واستعمال القلم والورقة»، وبشكل حاسم، مستوى عاليًا من الإتقان في الفهم والتطبيق، وكفاءة عالية في استيعابِ تَعَلُّم الحروف نطقًا وكتابة، بل إن بعض الأشخاص من المجموعة الأولى أتقن تعلّم الحروف العربية بعد مرور جلستين فقط.

عطفًا على ذلك، يقول روبرت وايلي: «إنه على الرغم من أن جميع المتعلمين في الدراسة أجادوا التعرف على الحروف، فإن التدريب على الكتابة بخط

اليد، واستعمال الورقة والقلم في عملية التعلم، كان هو الأفضل على جميع المقاييس؛ حيث تَطَلَّبتْ عمليةُ التعلم من المجموعة الأولى وقتًا أقل، والسبب في ذلك أن الكتابة بخط اليد تعزّز الدروس المرئية والسمعية».

في نهاية الدراسة استنتج الباحثان بريندا راب وروبرت وايلي أن الكتابة بخط اليد للمتعلمين في أثناء عملية التعلم توفر لهم تجربة حركية إدراكية توحّد جميع عناصر ما تعلّموه عن الحروف (أشكالها، وأصواتها، وآلية كتابتها)، التي بدورها تخلق تعلُّمًا حقيقيًّا بمعرفة أكثر ثراءً.

وقال وايلي: «الدارس الرئيس هو أنه على الرغم من أن المجموعات الثلاث أجادوا جميعًا التعرف على الحروف، فإن التدريب على الكتابة اليدوية كان الأفضل في جميع المقاييس الأخرى. وتُمكِّنُ مَنْ يكتبون بخط اليد من إتقان المهارات خلال وقتٍ أقل بكثير».

والأكثر من ذلك أن مجموعة الكتابة اليدوية تمكنت من اكتساب مهارات القراءة والتهجئة الخاصة بالمستويات الأكثر تقدمًا والأكثر تمكنًا. ويقول الباحثان وايلي، وراب: «إن السبب وراء ذلك هو أن الكتابة اليدوية تعزز الدروس المرئية والسمعية. الميزة لا علاقة لها بفن الخط - إنما لأن الفعل البسيط للكتابة باليد يوفر تجربة حركية إدراكية توحد ما يتم تعلمه عن الحروف (أشكالها، وأصواتها، وخططها الحركية)، التي بدورها تخلق معرفةً أكثر ثراءً، وتعلمًا حقيقيًّا كاملًا».

وقال وايلي: «من خلال الكتابة، تحصل على تمثيل أقوى في عقلك يتيح لك الارتقاء نحو أنواع أخرى من المهام التي لا تتضمن بأي شكل من الأشكال الكتابة اليدوية».

وعلى الرغم من أن المشاركين في الدراسة كانوا من البالغين، فإن وايلي وراب يتوقعان أنهما سيريان النتائج نفسها عند الأطفال. النتائج لها آثار كبيرة

في الفصول الدراسية؛ حيث احتلت أقلام الرصاص والدفاتر المقعد الخلفي في السنوات الأخيرة، وحلّت محلّها الأجهزة اللوحية وأجهزة الحاسب المحمولة، لدرجة أن تعليم الكتابة اليدوية بخط اليد قد انقرض.

وأكد الباحثُ وايلي حرصه على أن يكون لدى الأطفال في عائلاتهم مخزون من لوازم الكتابة اليدوية، فقال: «لديَّ ثلاث من بنات أخواتي وابن أخ في الوقت الحالي، ويسألني أشقائي وشقيقاتي هل يجب أن نُحضر لهم أقلام تلوين وأقلام كتابة؟ أقول نعم، دعوهم يلعبون بالأحرف ويبدؤون كتابتها ويداومون على كتابتها طوال الوقت. حتى إني في عيد الميلاد أحضرت لهم طلاء الأصابع، وقلت لهم: «دعونا نرسم الحروف»[1].

وبعد، فهذه الدراسة أكدت فاعلية برنامج مدارس ابن خلدون «علَّم بالقلم».

(١) الملف التعريفي المحدّث الخاص بالدكتور روبرت وايلي على الرابط الإلكتروني: https://psy.uncg.edu/people/wiley

كما أن مدارس فالدورف الألمانية تمنع الوسائل الحديثة؛ التابلت، والشاشات، والحاسب، وحتى الآلات الحاسبة. شعارها: «التكنولوجيا يمكنها أن تنتظر»، لذا تعتمد المدارس الورقة والقلم، والسبورة والطباشير، فهي وسائل التعليم المُثلى، وهي الأساس في برنامجها التعليمي اليومي.

الخاتمة

لكل بداية نهاية، ولكل كِتابٍ خاتمة تُلخص محتواه.

وفي صفحات هذا الكتاب تذكيرٌ بتاريخٍ منسيٍّ عن المعلم، وخلاصةُ تجربة، وحكايةُ واقع، وعرضٌ لترتيب المملكة في الاختبارات الدولية في مادتي العلوم والرياضيات، وفيه تساؤلٌ مفاده: لماذا نحن في ذيل القائمة الدولية، مع أن المملكة تُنفقُ بسخاء على التعليم؟ وكيف العلاج؟!

وعَرَضَ هذا الكتاب (**والمعلّمُ شيءٌ**) قواعد قرآنية لتطوير التعليم، تتضمن هدايات لفارس التعليم ورفع كفاءته، هي قواعد وهدايات لعموم المعلمين والمعلمات، حبّذا لو كانت ضمن مناهج إعدادهم،

لتكون الهادية للطريق الأقوم. إنها قواعد بين أيدينا، لكنّا في غفلة عنها.

إن العزّة والنجاح في كتاب الله، فلنتدَّبَرْ آياتِهِ؛ ففيها منهج التطوير.

هذا، وأعلم أن بعض مُخالفي هذا الرأي سيقولون: حبًّا وكرامةً بالدين، لكن علوم الدنيا ومستجدات العصر لا علاقة لها بالدين والقرآن!

وأقول: لا تعارض بين الدين وعلوم العصر، وما استطاع أي باحث أو مخترع أن يُثير إشكالية علمية مع القرآن، ولا موانع ولا حواجز تمنع الجمع بين علوم الدنيا وعلوم الآخرة، فقد أرشدنا الله -سبحانه- في كتابه العزيز إلى غذاء الروح ونور العقل.

إن الرقابة الذاتية للمهندس، والطبيب، وخازن المال، وغيرهم، أقوى من ألف رقيب ورقيب، وأقوى من ألف كاميرا رصْد، وألف قانون تحذير، وألف بيان تخويف.

يكفي استشعار رقابة الله برقابة الكرام الكاتبين، واستحضار قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وفي الكتاب وقفاتٌ لعدد من المعلّمين الربّانيين، أبقَوا وراءهم أوقافًا من الرجال يدعون لهم، وأنا واحدٌ من تلك الأوقاف الشاكرة الداعية.

وحديثٌ مُوجزٌ عن لغة التعليم، وكيف صنع بِضعَةُ مُعلّمين بلغتهم الميتة جيلًا هزيلًا في ديار المسلمين.

هذا، ولا أدّعي أنني قد أحطت بكلّ شيء في هذا المجال المهم من مجالات التعليم، فربما فاتني الشيء الكثير، لكن حسبي أني اجتهدت، وأسأل الله أن ينفع بالكتاب، وأن يجعله من كتب التذكير والإرشاد، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

قائمة المصادر المراجع

أولًا: الكتب

- أسطورة الكسل، مل ليفين، تعريب ليلى النابلسي، الحوار الثقافي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- التحول من العالم الثالث إلى العالم الأول؛ قصة سنغافورة من عام ١٩٦٥-٢٠٠٠، لي كوان يو، رئيس وزراء سنغافورة الأسبق، نقله إلى العربية معين الإمام، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م.
- تاريخ المملكة العربية السعودية، عبد الله الصالح العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٣٩هـ.
- تفسير ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

- تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، من إصدارات مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية.
- تفسير الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت.
- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، مصر، د.ت.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، العبيكان، الرياض، ط٣، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- حياتي بعد التسعين، عبد العزيز العلي النعيم، دار مدارك، الرياض، ط٢، ٢٠٢١م.
- خواطر وذكريات، علي الطنطاوي، راجعه وصححه وعلق عليه: حفيد المؤلف مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط٥، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

- سر تقدم الإنجليز السكسونيين، إدمون ديمولان، ترجمة: أحمد فتحي زغلول باشا، صدر عام ١٨٩٧م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: نظر الفاريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- العدوان على العربية عدوان على الإسلام، عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١.
- فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

ثانيًا: المواقع الإلكترونية:

- مقال بعنوان: «مدارس والدورف العالمية المعتمدة على منهج التعلم الحسي والإدراكي بدون استخدام الأجهزة الذكية». منشور على الرابط الإلكتروني الآتي: https://cutt.us/vkry7
- الملف التعريفي المحدّث الخاص بالدكتورة بريندا راب على الرابط الإلكتروني: https://cutt.us/7SBbP

- الملف التعريفي المحدّث الخاص بالدكتور روبرت وايلي على الرابط الإلكتروني: https://cutt.us/yormL
- موقع الدكتور روبرت وايلي على الرابط الإلكتروني: https://writingbrain.blog

تطويرُ التعليم مطلبٌ وطني، وهدفٌ منشود، وغايةٌ نبيلة.

والحديث حول رفع كفاءة التعليم يتجدّد كلَّ حين، والمجتمع بكل أطيافه يحمل هَمَّ التعليم؛ فكل بيتٍ مرتبطٌ بالتعليم، فلا أغلى ولا أعز من الأولاد فلذات الأكباد.

تعدّدت الأفكار والآراء حول تطوير التعليم، واستنزفَ الحديثُ عن المناهج ومراجعتها أغلبَ تلك الآراء، إلّا أنني أرى أن الأهم في التطوير هو المعلم، فهو فارس الرهان. أعطني معلماً ولو تحت ظلِّ شجرة.

ذات يومٍ وأنا أقرأ في القرآن الكريم، استحضرتُ هاجس التعليم وتطويره، واستوقفتني بعض الآيات الكريمة، فوجدتُ فيها إضاءات وهدايات تتعلق بالمعلِّم؛ فبضاعته الفكر، وميدانه العقل، هو مع الحياة والروح وليس الجماد والمادة، فكيف نرفع من كفاءته، ونزيد من دافعيته؟

ومضيتُ في قراءتي لكتاب الله، فدوَّنتُ عددًا من القواعد، واستنبطتُ بعض الرسائل القرآنية الهادية للمنهج الأقوم للتطوير وتجويد المخرجات، وهي مادة هذا الكتاب **«والمعلم شيء»**.

ISBN:9786035094399
9 786035 094399

التدريس (المهنة)

تواصل معنا
CONTACT US